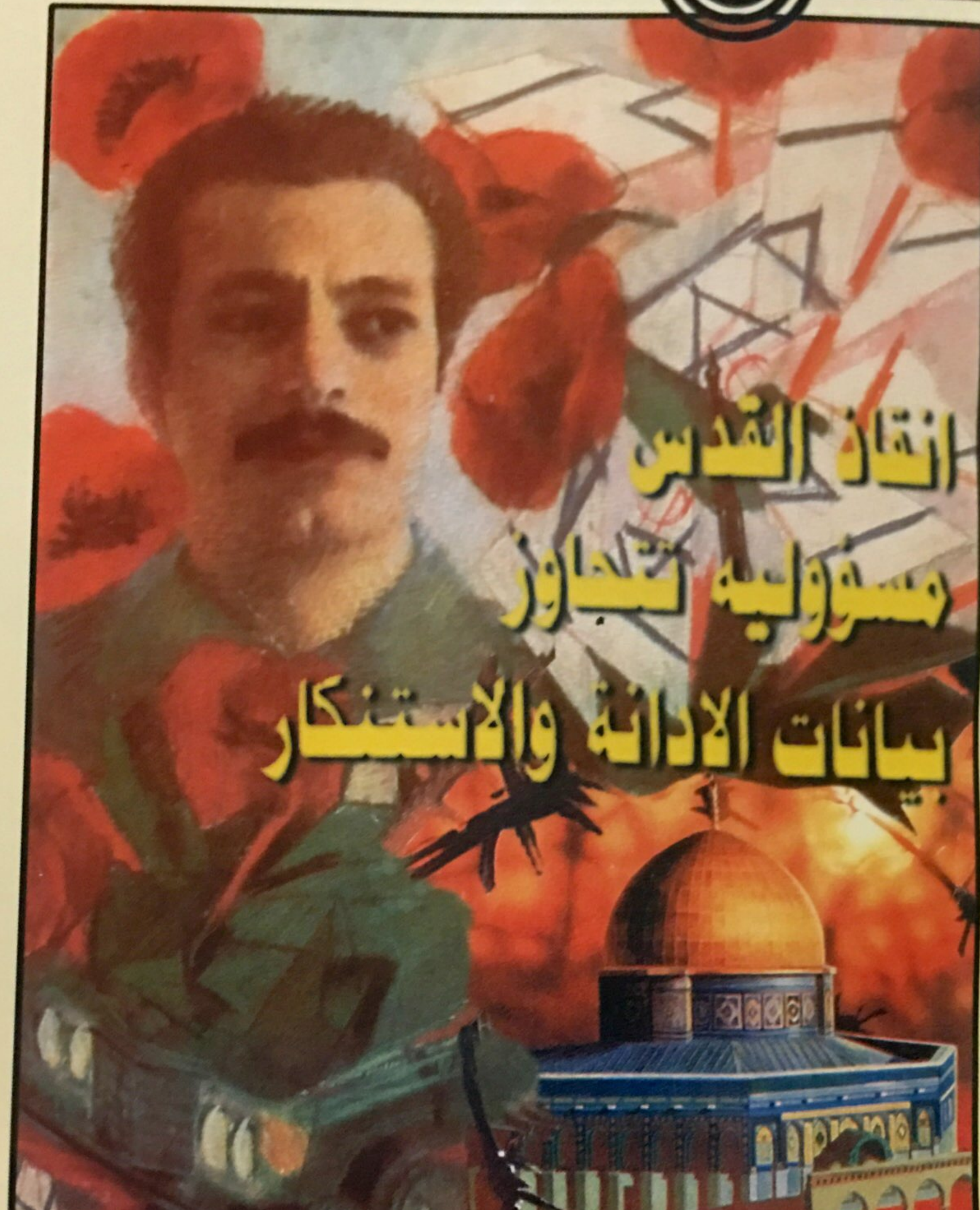
الذكرى السادسة والعشرون لاستشهاد غسان كنفاني

الهدف
AL HADAF

العدد ١٢٨٣/ ١٢ تموز السنة الثامنة والعشرون - الثمن ٣٠ ل.س / ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1283 - 12/7/1998



انقاذ القدس مسؤولية تتجاوز بيانات الادانة والاستنكار









هوامش كروية

مهرجان هو المونديال، مهرجان للفرح والحزن، للرياضة والشغب للإنتصار والهزيمة.

وللمهرجان ملكة، هي تلك المستديرة الساحرة.. تلاحقها العيون كما الأقدام، بانتظار الإستقرار في مكان مفضل، شباك الخصم طبعاً.

لوكانت الكرة تفكر، لو كان لها دماغ (مثلاً)، لكان جنَّ جنونها، لما يتنازعها من دوافع وصراعات وآمال وطموحات كلها متضادة تسير في اتجاهين على الأقل وهي مجبرة أن تكون مع الجميع وأن تستجيب لرغبات الجميع وإرادة أقدامهم.

الملايين الذين تابعوا المباريات، وتسمروا ساعات طويلة أمام أجهزة التلفزيون أعادوا الإعتبار لسلطة الأكثرية، شكلوا أغلبية حاكمة لفترة من الزمن تصل إلى الشهر. كرة القدم إذاً استعادت الديمقراطية، وتراجعت الأقلية، أولئك الذين لايحبون الكرة وليسوا مغرمين بسحرة البرازيل ولا بأسود افريقيا، أجبروا على الصمت ومنعوا من التعبير عن حريتهم بمشاهدة مايريدون، فذهبوا إلى الظل شهراً كاملاً، أعادوا فيه السلطة لأصحابها (الأغلبية). ديمقراطية حكم الأكثرية أحدثت تغيرات أساسية على برنامجنا اليومي، الشوارع خالية أوقات المباريات المواعيد تحدد خارج الوقت المحرم! نشرات الأخبار تتراجع، ويغيب المسلسل اليومي أو يختصر إلى نصف مدته، والأهداف المسجلة في باريس وغيرها من مدن فرنسا، ليست كروية فقط فالسياسة دست أنفها هنا أيضاً، وعبثت في اللعبة، فراهن الكثيرون على أن تحقق الكرة ما لم تحققه المدافع والعقوبات والتحديات الدبلوماسية. وإذا كانت النتائج الكروية تظهر خلال تسعين دقيقة، فنتائج الأهداف السياسية تحتاج لوقت أطول بكثير، وما علينا سوى الإنتظار.

أحمد جابر



AL-HADAF

الهدف

«الهدف» ١٢ تموز ١٩٩٨ ـ العدد ١٢٨٣
السنة الثامنة والعشرون ـ الثمن ٢٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1283 - 12/7/1998

سياسية عربية ـ تصدر مؤقتاً كل اسبوعين

المشرف العام
د. ماهر الطاهر

رئيس التحرير
نصار ابراهيم

سكرتير التحرير
خليل جنداوي

مدير الادارة
محمد خير الاسعد

المدير الفني
زهدي العدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل/ سوريا ٢٠ ل.س/ الاردن ٥٠٠ فلس/ العراق ١٠ د.ع/ الإمارات ١٠ درهم/ الجزائر ١٥ دينار/ ليبيا دينار واحد/ تونس ١,٢٥ دينار/ صنعاء ١٥٠ ريالاً/ السودان ٦ جنيهات/ المغرب ١١ درهماً/ أمريكا وكندا ٣ دولارات/ ألمانيا ٥ ماركات/ أسبانيا ٣٠٠ بيزيته.

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها اجور البريد
سوريا ٦٠٠ ل.س/ لبنان والأردن ٣٠ دولارا/ بقية الدول العربية ٥٠ دولارا/ اوروبا ١٢٥ دولارا/ آسيا وافريقيا ١٠٠ دولارا/ الامريكتين واستراليا ١٥٠ دولارا

☆ يتم الاشتراك بارسال اشعار الايداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي بنك بيروت والبلاد العربية
شتورا ـ لبنان
رقم الحساب AC NO.22004
☆ او بارسال شيك بنكي باسم «الهدف» دمشق/ ص ب ٣٠١٩٢

المكاتب

المقر الرئيسي: دمشق ـ مخيم اليرموك
هاتف: ٦٣٢٨٢٦٧
٦٣١٩٣٧٤
فاكس: ٦٣٢٥٤٨٦
٣٣٢٩٣٢٦
ص.ب: دمشق ـ ٣٠١٩٢
عمان: ٦٩٦٣٤٠
الجزائر: ٥٩٤٥٤٨
٣٨٤٣٠٤
بغداد: ٧١٩١٦٢٢
٧١٧٤٧١٠

كلمة

ثمة مؤشرات بالغة الأهمية نجدها في الموافقة الأخيرة للجمعية العامة للامم المتحدة على تغيير مستوى التمثيل الفلسطيني والذي ارتفع من وضع «مراقب» إلى «مراقب فوق العادة».

فان يُعتمد القرار بتأييد ١٢٤ دولة واعتراض أربع فقط، فهذا أمر يكشف بكل الوضوح الممكن مدى التأييد الدولي الواسع للشعب الفلسطيني ولعدالة قضيته وحقوقه الوطنية. وخصوصاً أن الدول الرافضة لم تكن سوى اسرائيل والولايات المتحدة ومعها ميكرونيزيا وجزر مارشال اللتان لم يسمع بهما أحد إلا في العام الماضي وأيضاً أثناء تصويتات مؤيدة لاسرائيل.

الرفض الأمريكي للقرار ترافق مع تصريحات بالغة الدلالة.. فالبيت الأبيض ندد بالقرار ووصفه بانه «قرار رمزي لسياسة قصيرة النظر».

ولم يقتصر الموقف الأمريكي على ذلك بل زاد على لسان الناطق بلسان وزارة الخارجية الأمريكية إن «القرار ينسف فرص تحقيق السلام في الشرق الأوسط»، وليضيف المندوب الأمريكي في المنظمة الدولية بيل ريتشاردسون انه «قرار سيء في وقت سيء من شانه زيادة صعوبة تحريك عملية السلام الفلسطينية ـ الاسرائيلية المجمدة منذ ١٥ شهراً».

الموقف الاسرائيلي من جهة كان أكثر حدة، ومع ذلك نجد في التصريحات العصبية التي أدلى بها المسؤولون الاسرائيليون، مواقف تكشف حقيقة اتفاق أوسلو. فالمندوب الاسرائيلي في المنظمة الدولية رفض القرار الأخير قائلاً إن ذلك «يتعارض مع الأساس الثنائي لعملية السلام العربية الاسرائيلية التي بدأت في مدريد، وينتهك مبادىء اتفاقات أوسلو» حول الحكم الذاتي الفلسطيني.

إذا ربطنا بين الموقفين الأمريكي والاسرائيلي سنجد حقيقة بالغة الأهمية ـ وإن كانت قديمة ـ كشفت عنها التطورات الجارية في المنطقة أكثر من مرة، بل أكثر من مئة مرة.... فالأمريكان والاسرائيليون يريدون المحافظة على الروحية البائسة لاتفاق أوسلو والتي تمكنهم من الاستثمار الكامل لموازين القوى الحالية المختلة للجهة المعادية، ومنع أي طرف مهما كان من محاولة تعديل هذا الوضع، الأمر الذي يتيح لهم المجال للاستمرار في الاستفراد بالطرف الفلسطيني الذي حشر نفسه في وضع لا يحسد عليه أبداً.... ■■

في هذا العدد



موضوع الغلاف:

انقاذ القدس... مسؤولية تتجاوز بيانات الادانة والاستنكار

صفحة ٦

في هذا العدد

إنقاذ القدس.. مسؤولية تتجاوز بيانات الادانة والاستنكار

من بين مشاكل العالم الكثيرة والمعقدة تشكل قضية القدس مسألة بالغة الحساسية والأهمية نظراً لأبعادها التاريخية والدينية والحضارية حيث تتجاوز أهميتها ومداها شعوب المنطقة.

وقد شكلت مدينة القدس تاريخياً تحدياً عميقاً ودائماً. فمنذ اتفاقية سايكس - بيكو عام ١٩١٦، والتي كانت تنص على اعطاء القدس وضعاً دولياً، برز إلى الوجود ما يقارب ٩٠ خطة وبرنامجاً لمعالجة وضع هذه المدينة مما يدلل على وضعها الاستثنائي كمفتاح للحرب والسلام، وكعنوان لصراع تدرك الصهيونية أبعاده ومعانيه.

تتعرض المدينة المقدسة اليوم لمذبحة شاملة تستهدف تهويدها وسحق تاريخها ولذلك فإن جهات وقوى عديدة تصرخ مناشدة الدول العربية والاسلامية وكل الشرفاء في العالم لاتخاذ موقف حاسم لمواجهة الاعتداءات الصهيونية المتكررة والخطيرة الهادفة إلى الاستيلاء الكامل على القدس، وذلك بتجاوز بيانات الادانة والاستنكار للانتقال إلى مرحلة من العمل الجماعي الفاعل لحماية المدينة المقدسة. هذه الدعوات تكتسب أهمية قصوى وتشكل صرخة ينبغي ترجمتها على أرض الواقع وقبل فوات الأوان، خاصة في ضوء تسارع الاجراءات الاسرائيلية للسيطرة الكاملة على المدينة وتهويدها وتغيير معالمها ونسف بيوت أهلها على مرأى ومسمع من العالم أجمع. فقد أقرت حكومة نتنياهو يوم الحادي والعشرين من حزيران ١٩٩٨ خطة جديدة لتوسيع الحدود الادارية للقدس بهدف احكام السيطرة عليها وابقاء النمو الديمغرافي الفلسطيني في المدينة دون نسبة الـ٣٠٪ من عدد السكان، وبموجب هذه الخطة سيتم توسيع المدينة غرباً بضم أراض تقع داخل أراضي ١٩٤٨ وانشاء «بلدية موسعة» تحول سلطات ادارية اسرائيلية على مستوطنات يهودية أخرى قريبة تشمل بعض المستوطنات في الضفة الغربية. وسيكون للبلدية الموسعه سلطة البناء وتخطيط المدن في هذه المستوطنات. لاشك أن المخططات الصهيونية للاستيلاء الكامل على القدس وجعلها عاصمة «موحدة وأبدية لاسرائيل» ليست حديثة العهد ولم تتم فقط في ظل حكومة الليكود المتطرفة، بل هي مورست على مدى سنوات طويلة، واستمرت بصورة منتظمة منذ احتلال المدينة وستتواصل ما لم يتم مواجهتها بموقف فلسطيني وعربي واسلامي ودولي حاسم. لأن الهيئات والمؤسسات الدولية اتخذت عشرات القرارات التي تؤكد بطلان ولا شرعية الممارسات والاجراءات الاسرائيلية، لكن هذا لم يغير من الواقع شيئاً إذ ضربت حكومات تل أبيب عرض الحائط بكل القرارات الدولية وزادت من ممارساتها العدوانية وصاعدت سياسة الاستيطان ومصادرة الأراضي وهدم البيوت واقتلاع البشر من أرضهم.

لم يكن اتفاق أوسلو سوى محطة على طريق تنفيذ المشاريع العدوانية حيث قدم تجسيد هذه المشاريع الجواب الملموس على الادعاءات الفارغة والمضللة لأصحاب فريق أوسلو عندما حاولوا

خداع الشعب الفلسطيني والعربي بأن هذه الاتفاقات سوف تكون الوسيلة الوحيدة حسب زعمهم لإرغام اسرائيل على تجميد الاستيطان ووقف اندفاعته.

لقد أصبح واضحاً كل الوضوح أن من الخطايا الكبيرة التي اقترفها الطرف الفلسطيني في مفاوضات أوسلو السرية الموافقة على تأجيل بحث موضوع القدس وترحيله إلى ما يسمى بمفاوضات الحل النهائي، وهو الهدف المدروس الذي سعت إليه اسرائيل، لأن رؤيتها للعملية السياسية كانت ولاتزال تقوم على أساس فرض وقائع وحقائق على الأرض للاستيلاء الكامل على المدينة المقدسة والقسم الأكبر من الأراضي الفلسطينية المحتلة. ومنذ توقيع اتفاقات أوسلو لم تتوقف اسرائيل عن ممارسة كافة الاجراءات، لا بل ضاعفت هذه الاجراءات بعد أوسلو وبدأت سباقاً مع الزمن في مصادرة الأراضي وتوسيع المدينة غير مكتفية هذه المرة بتجاوز قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، بل الخروج حتى عن الاتفاقات المذلة التي أبرمتها مع الجانب الفلسطيني وتشير العديد من المصادر الاسرائيلية أن خطط ومشاريع الاستيطان في القدس والتي سيمتد تنفيذها لعام ٢٠١٠ ستتخطى الحدود الحالية للمدينة حيث أن الحدود الحالية مهيأة لاستيعاب ١١٠ آلاف مستوطن يهودي جديد، ويتم العمل خلال الـ١٥ عاماً القادمة لتوطين ٣٥٠ ألف مستوطن.

رغم كل الممارسات الاسرائيلية، فإن موقعي أوسلو لازالوا يراهنون على ضغوطات أمريكية على نتنياهو ويواصلون ذات السياسة المدمرة التي أوقعت أفدح الأضرار بنضال الشعب الفلسطيني، والتي ساهمت في تمكين اسرائيل وتحت شعار ما يسمى بالسلام والمفاوضات من المضي في تنفيذ برنامجها التوسعي على حساب الحقوق الوطنية الفلسطينية.

لاشك أن موضوع القدس يمثل تحدياً خطيراً بالنسبة للشعب الفلسطيني والعربي وللمسلمين والمسيحيين. فقضية القدس تتجاوز امكانات الشعب الفلسطيني، وبالتالي فهي مسؤولية عربية واسلامية ومسيحية تتطلب تضافر جهود الجميع لتشكيل جبهة عالمية واسعة لحماية المدينة من الأطماع الصهيونية.

إن السياسات القائمة حالياً سواءً على المستوى الرسمي الفلسطيني أو العربي لن توقف المخططات الاسرائيلية، ما لم يتم اتخاذ مواقف عملية واضحة ورسم استراتيجية عمل محددة تعيد النظر بسياسة المراهنة البائسة على الادارة الأمريكية وانتظار مبادراتها وأوهام ممارستها لضغوط على اسرائيل. فعلى الرغم من كل التنازلات الرسمية الفلسطينية والعربية، فإن الادارة الأمريكية ترفض أي ادانة لممارسات اسرائيل المخالفة لأبسط قواعد القانون الدولي. وعلى العكس من ذلك نرى الولايات المتحدة ترمي بكل ثقلها لإرغام الدول العربية على سحب مشروعهم المقدم إلى مجلس الأمن لادانة اسرائيل ومطالبتها بالتراجع عن اجراءاتها في مدينة القدس.

لقد هددت أمريكا بشكل واضح بأنها ستستعمل حق الفيتو من جديد إذا أصرّ العرب على تقديم مشروعهم، وقالت إن أقصى ما يمكن أن نوافق عليه هو اصدار بيان مخفف اللهجة تتبناه رئاسة مجلس الأمن.

إذا كانت الادارة الأمريكية ترفض ادانة اسرائيل وتمارس الفيتو لحمايتها، وإذا كانت ترفض رفع مستوى التمثيل الفلسطيني في هيئة الأمم المتحدة رغم تصويت الغالبية الساحقة لدول العالم على هذا القرار فهل هناك أي مبرر لاستمرار المراهنة على ضغوط أمريكية على اسرائيل؟

تقول الادارة الأمريكية أن رفع مستوى التمثيل الفلسطيني في هيئة الأمم المتحدة - رغم أنه لم يصل إلى مستوى الدولة - أمر يهدد ويعرقل عملية السلام، فأي سلام هذا الذي تتصوره الولايات المتحدة؟

إن سياسة الناشدات التي مارستها القمة العربية الثلاثية في القاهرة التي جمعت رئيس مصر وملك الاردن ورئيس سلطة الحكم الذاتي لن تجدي نفعاً ولن تقابل سوى بعدم الاكتراث لأن مثل هذه الناشدات باتت معزوفة مكررة تسمعها كل يوم الحكومة الاسرائيلية والادارة الأمريكية.

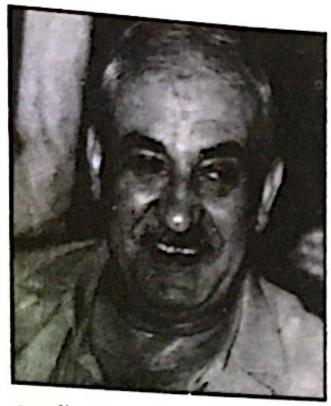
إن المطلوب ليس المناشدات وبيانات الشجب والاستنكار غير المقرونة بمواقف عملية جادة وملموسة من نوع الايقاف الكامل للتطبيع مع اسرائيل وتجميد المفاوضات وسحب السفراء وبلورة مرجعية دولية لعملية السلام تقوم على أساس قرارات الشرعية الدولية وليس استفراد الطرف الأمريكي بشكل كامل في التحكم بمسار المفاوضات.

لن تغير الادارة الأمريكية واسرائيل سياستهما ما لم تواجها موقفاً عربياً جاداً يتجاوز بيانات المناشدة والشجب.

إن حماية الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني تتطلب بلورة موقف فلسطيني يعيد الاعتبار للذات الوطنية، ويعيد النظر جذرياً لسياسة المراهنة على كرم اسرائيل وأمريكا، يقوم بمراجعة سياسية شاملة للخط السياسي المدمر الذي أوصل الشعب الفلسطيني إلى مأزق سياسي كبير لن يتم الخروج منه إلا باستنهاض طاقات الشعب الفلسطيني وروحه الكفاحية واعادة الاعتبار للبرنامج الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية وميثاقها وبناء مؤسساتها على أسس ديمقراطية، وهذا هو المدخل السليم لبلورة موقف عربي فاعل لمواجهة استحقاقات المرحلة المقبلة. لأن المطلوب اليوم ليس عقد قمة عربية تمنح التأييد للمبادرة الأمريكية وتغطية سياسات التنازل والتفريط، بل المطلوب عقد قمة عربية شاملة هدفها مواجهة المخططات الصهيونية والتصدي لها لمواجهة المخاطر والتحديات الكبرى التي تواجه الشعب الفلسطيني والأمة العربية بأسرها، مترافقة مع تحرك شعبي فاعل من القوى السياسية لتحريك الشارع العربي للقيام بدوره في حماية مصالحه ومستقبله ■

السيد عبد القادر قدورة رئيس مجلس الشعب السوري يستقبل الدكتور جورج حبش

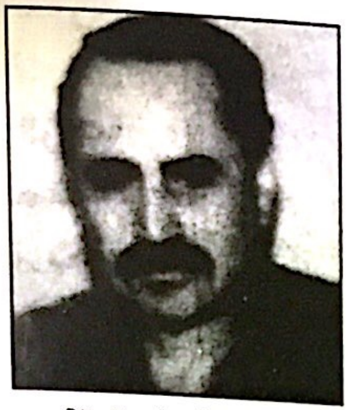


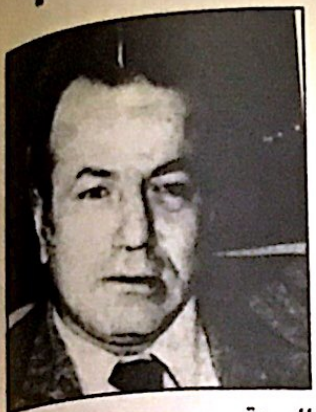


استقبل رئيس مجلس الشعب السوري الرفيق عبد القادر قدورة يوم ١٩٩٨/٧/٤ وفداً من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الدكتور جورج حبش حضره الرفاق، أبو أحمد فؤاد وأبو علي حسن عضوا م.س، وصالح مبارك عضو الدائرة السياسية.

وجرى بحث المستجدات السياسية على الساحتين الدولية والعربية، كما اطلع الرفيق الأمين العام الأستاذ قدورة على أوضاع الساحة الفلسطينية والأخطار التي تهدد القضية الوطنية الفلسطينية، وأكد على ان الجبهة تسعى لترتيب أوضاع البيت الفلسطيني على اسس وطنية وعلى قاعدة الإستمرار في مقاومة الإحتلال بمختلف أشكال النضال، وكذلك أكد على سعي الجبهة الحثيث من أجل إعادة بناء مؤسسات م.ت.ف على أسس وطنية ديمقراطية وثمن مواقف سوريا الثابتة في مواجهة المخططات الإمبريالية والصهيونية التي تستهدف تمرير المشاريع التصفوية للقضية الفلسطينية وعزلها عن عمقها العربي.

لقاء بين الرفيق أبو علي مصطفى والأخ فاروق القدومي





استقبل الأخ فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية وبحضور العقيد محمد جهاد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، والأخ عبد اللطيف أبو حجلة مدير الدائرة السياسية، والسيد محمود الخالدي مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في دمشق. وفداً من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام، وضم الوفد الرفيق أبو أحمد فؤاد والدكتور ماهر الطاهر عضوي المكتب السياسي للجبهة.

دار البحث خلال اللقاء حول التطورات السياسية على الساحة الفلسطينية، وقد أكد الجانبان على ضرورة اجراء مراجعة سياسية شاملة لمسيرة العمل الفلسطيني لاعادة الاعتبار لمنظمة التحرير الفلسطينية وبرنامجها الوطني وبنائها على أسس ديمقراطية تستجيب للمصالح الوطنية والقومية للشعب الفلسطيني.

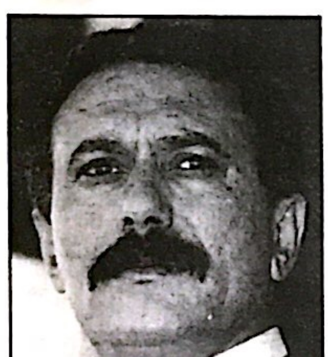
المكتب الصحفي
الجبهة الشعبية
لتحرير فلسطين

د. حبش يتلقى برقية جوابية من الفريق علي عبد الله صالح

تلقى الرفيق جورج حبش برقية شكر جوابية من الفريق علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية اليمنية هذا نصها:

الدكتور جورج حبش

الأمين العام للجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أشكركم جميعاً على حسن تهنئتكم بمناسبة الإحتفالات بالعيد الوطني الثامن معربين لكم عن عميق الشكر والتقدير لمشاعركم الصادقة كما نرجو لكم جميعاً النجاح في مهامكم وندعو الله سبحانه وتعالى أن يؤيد الشعب



الفلسطيني بنصره وأن يوفقه إلى ما يصبو إليه من العزة والمجد.

علي عبد الله صالح
رئيس الجمهورية اليمنية

تصريح صحفي

تعقيباً على ما تناقلته بعض وسائل الاعلام، حول اجراء ترتيبات لعقد لقاء ثلاثي في القاهرة بين الدكتور جورج حبش وياسر عرفات ونايف حواتمة، قال الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن لا علم لنا بمثل هذا الأمر ولم نجر اتصالات مع أحد لترتيب مثل هذا اللقاء.

١٩٩٨/٦/٢١

الجبهة الشعبية لتحرير

ويعـــود جثمان الشهـيـد



بعد اثني عشر عاماً على استشهاده عاد جثمان الشهيد/ عباس سويدان إلى أرض لبنان الباسل مزنراً بالعزة والكرامة، على إثر عملية التبادل التي تمت مؤخراً بين لبنان وإسرائيل بوساطة فرنسية والتي استعاد فيها لبنان (٥٥) أسيراً مقاوماً وجثث (٤٠) شهيداً قضوا في مواجهات مع قوات الإحتلال الإسرائيلي وذلك بعد مفاوضات استغرقت (٩) أشهر في إطار عملية تبادل أشلاء جندي اسرائيلي قتل في عملية أنصارية الفاشلة.

انضم الشهيد البطل إلى صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الثمانينات ليجسد بذلك روح التلاحم الكفاحي بين الشعبين الفلسطيني واللبناني في مواجهة العدو الصهيوني المتغطرس.

لشهيدنا البطل ألف تحية ولشهداء لبنان وفلسطين والأمة العربية الخلود والمجد لأرواحهم الطاهرة وعهداً لجميع الشهداء باننا سوف نستمر في الكفاح حتى تحقيق أهدافنا الوطنية.

الرفيق الشهيد عباس عبد الله سويدان

الإسم الحركي: جيفارا الجنوب

الجنسية: لبناني

الحالة الإجتماعية: أعزب

مكان وتاريخ الولادة: ياطر/ جنوب لبنان ١٩٦٤م

الرتبة العسكرية: ملازم

انضم للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في بداية الثمانينات.

استشهد بتاريخ ١٩٨٦/٧/٦ أثناء قيامه بمهمة قتالية ضد العدو الصهيوني وقوات لحد العميلة.

كلمة رئيس الوفد الفلسطيني، نائب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني الأخ تيسير قبعة في المؤتمر الثامن للإتحاد البرلماني العربي



الرفيق تيسير قبعة مع الرئيس الموريتاني معاوية ولد سيدي أحمد الطايع

ألقى الرفيق تيسير قبعة عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، نائب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، كلمة فلسطين في المؤتمر الثامن للإتحاد البرلماني العربي أثناء انعقاده في نواكشوط بموريتانيا ما بين ٢٥-٢٧/ حزيران/ يونيو ١٩٩٨ وفيما يلي أبرز ماورد فيها:

يطيب لي في بداية كلمتي أن أتوجه بالتحية والتقدير باسمي وباسم الأخوة أعضاء الوفد الفلسطيني المشارك إلى الأخوة في الجمعية الوطنية الموريتانية على حرارة الاستقبال وحسن التنظيم، ومن خلالهم أنقل للشعب الموريتاني الشقيق تحية أخوته أبناء فلسطين، كما لايفوتني أن أنقل لجميع الإخوة البرلمانيين العرب المشاركين في هذا اللقاء وإلى مجالسهم الشقيقة تحية محبة وإخاء وتقدير من جميع الأخوة أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني، وذلك لما أبدوه من تضامن مع شعبنا في الذكرى الخمسين للكارثة التي حلت به والمتمثلة في اغتصاب وطنه وتشريد أبنائه وحرمانه من حقوقه الوطنية في الحرية والسيادة والإستقلال، تلك الظاهرة التضامنية التي جسدتها مجالسكم الموقرة سواء بإصدار البيانات أو بعقد جلسات خاصة بهذه المناسبة الأليمة، مما يشعر العالم أجمع أن أمتنا مصممة على عدم نسيان حقوقها وانها متمسكة بتلك الحقوق وانها لن تستكين للظلم الذي وقع على جزء من كيانها أو تتهاون مع من تعدى ولايزال يتعدى على حقوقها، وانتهك ومايزال ينتهك حرماتها ومقدساتها.

الإخوة الكرام،

إن الشعب الفلسطيني الذي هو جزء أصيل من أمته يعتز بانتمائه لها، يدرك تمام الإدراك التاريخ العريق لهذه الأمة والدور الحضاري البارز الذي لعبته في مجمل الحضارة الإنسانية، وقابلية التجدد والنمو التي تتمتع بها والتي أهلتها للنهوض من كبواتها ولم صفوفها والإصطفاف في وجه أعدائها والطامعين في أرضها وثرواتها في مفاصل تاريخية هامة.

ومن واقع ادراكه هذا فلقد كافح وناضل وقدم من قوت أطفاله ودم أبنائه ولايزال ما شهد له الأعداء قبل الأصدقاء، وذلك دفاعاً عن حقوقه الوطنية، واعتزازاً بقيم وتراث وحضارة أمته. وهو إذ يثمن عالياً ما أحاطته به شعوب أمته من رعاية وتأييد، وما قدمه إخوته من تضحيات ودماء دفاعاً عن أرضه ووجوده، ليهيب بأبناء أمته الإرتقاء بذلك التضامن إلى المستوى الذي يشعر المعتدي المحتل أن الشعب الفلسطيني ليس بمفرده يستفرد به كما يشاء، ويشعر القوة المؤثرة الأولى في العالم حالياً أي الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تؤمن سبل الحياة والتفوق له أن مصالحها ونفوذها في المنطقة العربية ستتأثران إن لم تخفف من ذلك التأييد وتعمل على لجم اندفاعه الجامح والهادف إلى قضم الأرض العربية وطمس حقوق أبنائها ليس في فلسطين وحدها ولكن في كل الوطن العربي الكبير.

وجهة نظر

هل من حل ديمقراطي للمسألة الفلسطينية؟

سمير الزبن



للوهلة الأولى، يبدو السؤال عن حل ديمقراطي للمسألة الفلسطينية يحمل إجابته السهلة في طياته. فعند تبسيط المسألة إلى عنوانها بوصفه حلاً تاريخياً للمسألة، يمكن اختصارها إلى أراض محتلة وشعب محتل، والإستنتاج المنطقي لحل المسألة، هو الخلاص من الإحتلال باستقلال الشعب الفلسطيني وانسحاب الإحتلال الإسرائيلي من الأرض الفلسطينية. بذلك تنتهي المسألة الفلسطينية بظهور الشعب الفلسطيني على الخارطة السياسية إلى جانب الشعوب الأخرى التي وجدت طريقها إلى الإستقلال الوطني.

قد تجيب هذه الصورة للحل عن الظروف القاسية التي تعرض لها الطرف الفلسطيني في الصراع مع اسرائيل على مدى السنوات الثلاثين الماضية، وتحديداً منذ الإحتلال الإسرائيلي للأرض الفلسطينية في العام ١٩٦٧. لكن هذا الحل ورغم أهميته لايجيب إلا على جزء من المسألة الفلسطينية التي تتراكم معطياتها منذ قرن.

إن التدقيق بالمعطيات التاريخية للمسألة الفلسطينية، تظهر بما لايقبل مجالاً للشك انها أكثر تعقيداً وتشابكاً وحملت من الشحنات والشروخ من أن يكون الحل السابق قادر على انهاء المسألة بالمعنى التاريخي. وأن الصراع على مدى القرن الماضي قد حمل من الشحنات والحمولات ما يتجاوز قضايا الحل الإجرائية. وهذا لايعني أن تحديد المسألة كقضية استقلال وطني لشعب محتل يعيبها، إنما لايكفي لوحده لحل هذه المسألة.

من هنا، فإن البحث عن حل ديمقراطي/ تاريخي للمسألة الفلسطينية، يعتمد بشكل أساسي على رؤية طبيعة الصراع بين الأطراف والتمييز بين جذوره وفروعه والتعامل مع كليهما. لأن العمل على القضايا الفرعية قد ينجز تسوية جزئية للصراع، ولكنه غير قادر على انجاز حل ديمقراطي/ تاريخي للمسألة، رغم قابلية هذه التسوية للحياة، إلا أنها عرضة للإهتزاز والإنهيار، طالما أبقت على جذور المسألة دون حل.

لم تبدأ المسألة الفلسطينية في العام ١٩٤٨، فقد سبق ولادة دولة إسرائيل نصف قرن من الصراع مع المشروع الصهيوني الذي ولد في نهاية القرن الماضي واستهدف فلسطين. لكن اعلان دولة اسرائيل كان ذروة النصر للمشروع الصهيوني في فلسطين. وللنصر وجه آخر، وكان الوجه الآخر للصورة كارثة اقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه وتشريده في الدول المجاورة. وإذا كان التاريخ ١٥ أيار ذروة الإنجازات الصهيونية، فقد كان هذا التاريخ في المقابل ذروة المأساة الفلسطينية التي حرفت مسار تاريخ شعب عن سكته الطبيعية.

يرتبط تاريخ الصراع الفلسطيني ـ الصهيوني بالأرض كمحور رئيسي لهذا الصراع، ومسارات الصراع على الأرض يكشف عن مصائر البشر التي سكنتها. ولأن المشروع الصهيوني لم يكن أصلاً مشروعاً للعيش المشترك على الأرض الواحدة. فقد وضع الصراع في سياق «نحن» أو «هم» الإلغائي. فكانت المحاولات منذ البداية تقوم على صياغة المجتمع الصهيوني كمجتمع غير متداخل مع المجتمع الفلسطيني، تمهيداً لحسم الصراع لمن تكون الأرض، لذلك وبعد اعلان دولة اسرائيل تحولت الأقلية التي صمدت في وطنها إلى خطر على الدولة العبرية، وأصبحوا عبئاً على الدولة وحالة غير مرغوب فيها، فكانت السياسات التميزية ضدها.

لم يقتصر المشروع الصهيوني على احتلال الأرض وطرد السكان من خلال القوة، بل كان من ضرورات السيطرة على الأرض احتلال التاريخ أيضاً، تأكيداً للأسطورة التي استقاها وعد بلفور من الدعاية الصهيونية عن «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض». لذلك لم تبرر اسرائيل نفسها كدولة استيطانية وكحالة استعمارية، إنما قام المؤسسون بصياغة مشروعهم كعملية تحرر مزدوج، تحرر من الشتات اليهودي من جهة، وتحرر من الإستعمار البريطاني من جهة أخرى. مما استدعى اعادة النظر في تاريخ الأرض التي استهدفها المشروع الصهيوني، ليتوافق مع اعادة النظر في التاريخ اليهودي، وتحويله إلى تاريخ قومي يستعيد أرضه التاريخية.

ولأن التاريخ «ملك المنتصرين» فإن المنتصر يسيطر عليه بمفعول رجعي، ويعيد انتاجه ليتوافق مع مصالحه وليبرر الحالة التي أفرزها الإنتصار. وفي الحالة الصهيونية وبحكم تواطؤ الغرب المسؤول عن الكارثة التي حلت باليهود في الحرب العالمية الثانية، والتي رغب من خلالها وقبلها حل عقده التاريخية مع اليهود، ولكن على حساب الشعب الفلسطيني، كأقل الحلول كلفة وأكثرها فائدة، ومن هنا تم فرض الصمت واللاوجود على التاريخ الحقيقي لأرض فلسطين، وكانت ضرورة السيطرة على الرواية التاريخية لما جرى ويجري في فلسطين، ضرورة لاتقل أهمية عن السيطرة على الأرض ذاتها. فقام التاريخ الرسمي الصهيوني والأكاديمي

على مدى سنوات طوال في بحوثه على إلغاء الوجود الفلسطيني التاريخي من فلسطين، ليجعل التاريخ اليهودي في فلسطين وحدة تمتد على مدى أربعة آلاف عام.

أي عمل على ترسيخ الأسطورة في الواقع التاريخي. إن تاريخ التجربة الصهيونية ومن ثم تجربة دولة اسرائيل وهي استمرار للاولى، تؤكد حقيقة تحول الأوهام والأساطير إلى حقائق واقعية. فتاريخ الصهيونية هو تاريخ تحول الحقيقة إلى وهم وتحول الوهم إلى حقيقة.

ما كان لهذا التحول ان يظهر على أرض الواقع في فلسطين دون التقاطع بين المصالح الإستعمارية الكبرى وتحديداً بريطانيا في النصف الأول من هذا القرن وبين الحركة الصهيونية. هذا التقاطع هو الذي نقل المشروع الصهيوني من إطار الفكرة إلى إطار الواقع. فتزايد المصالح الغربية في المنطقة وإمكانية التوظيف التبادل بين المصالح الإستعمارية والمصالح الصهيونية، جعلت بريطانيا تقوم بحماية المشروع الإستيطاني الصهيوني في فلسطين.

وفي ظل حماية الإنتداب البريطاني ودعمه للحركة الصهيونية، عملت الإستراتيجية الصهيونية في فلسطين على اتجاهين متكاملين كانا المحور المركزي للمشروع الإستيطاني في فلسطين. الإتجاه الأول، يسعى إلى «احتلال العمل» بمعنى استبدال العمال العرب بعمال يهود في المزارع والأعمال اليهودية. والإتجاه الثاني، «احتلال الأرض» بمعنى شراء الأرض من بعض الملاك غير اليهود من قبل هيئات ومؤسسات يهودية كالصندوق القومي اليهودي.

أنتجت هذه الإستراتيجية مجتمعاً صهيونياً مستقلاً إلى حد كبير عن المجتمع الفلسطيني، وعلى قاعدة استكمال المشروع الصهيوني بوطن قومي لليهود في فلسطين، وهو ما ساهم في العام ١٩٤٨ باقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه.

استمرت اسرائيل بعد اعلانها بالإعتماد على الصيغة الصهيونية ذاتها لإستكمال المشروع الصهيوني الذي اعتبر أنه لم يستكمل صورته النهائية بعد. وكما يصفها أحد الباحثين الإسرائيليين «ولدت كمجتمع وكدولة مهاجرين مستوطنين، ولاتزال مجتمع هجرة واستيطان نشيطين إلى الآن» ويقصد بذلك ممارستين خاصتين بدولة اسرائيل تكمل أحدهما الأخرى: الأولى، كون اسرائيل مستوعبة للهجرة من نوع محدد من البشر، والثانية، هي أن حدودها في حالة تشكل، من ناحيتي تضيقها وتوسعها. ولحفاظها على هاتين الخاصتين بقيت اسرائيل تضع الإستيلاء على الأرض كأولوية في سياستها، رغم كل المتغيرات الدولية التي حصلت بعد اعلان دولة اسرائيل. وهذا ما دلت عليه تجربة الإحتلال الإسرائيلي للأرض العربية في العام ١٩٦٧. وللحصول على الأرض كضرورة استيعابية للمهاجرين الجدد، أو كضرورة أمنية، يجب تجاهل المقيمين عليها وإلغاؤهم، ليس بعمليات الإستيطان والمصادرة الموسعة للأراضي كتعبير عن حالة احتلالية، وإنما يظهر ذلك واضحاً حتى في النقد «اليساري» لإحتلال الأرض الفلسطينية. والذي يهتم بشكل رئيسي بانعكاسات الإحتلال على المجتمع الإسرائيلي، دون أن ينصب اهتمامه على حق الفلسطينيين في اختيار حياتهم وتقرير مصيرهم. لذلك تبدو التسوية التي يقترحها اليسار الإسرائيلي حلاً للمشكلات الإسرائيلية الداخلية. وليست جواباً على تطلعات الشعب الذي يرزح تحت الإحتلال، أما سياسة اليمين الإسرائيلي فهي أكثر صلفاً وفجاجة ووقاحة في الغاء الشعب الفلسطيني من الحسابات الإسرائيلية. يشكل هذا الإنغلاق الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين اعادة انتاج لسياسة الإلغاء التاريخية. ومن هنا تنظر إسرائيل للسلام باعتباره الهدف الذي سيتوج الإنجازات الصهيونية، وليس الإقتراب من طموحات الشعب الفلسطيني ومن خلال تحسس آلامه.

٢

على الجانب الآخر من الصورة كان ثمن النصر الصهيوني ذروة الكارثة الفلسطينية بالمذابح الجماعية وبعملية الإقتلاع للشعب. ولم يدرك الفلسطينيون في العام ١٩٤٨ أن مصيرهم سيكون ما أسفرت عنه حرب ١٩٤٨. وأن يجدوا أنفسهم وقد تحولوا من أغلبية في وطنهم إلى سلسلة من التجمعات البشرية الأقلية محصورة في مخيمات مبعثرة في عدد من الدول العربية، وإلى اقلية محاصرة في وطنها.

لقد استتبع كارثة الطرد الجماعي، تغييب للفلسطينيين عن الخارطة السياسية للمنطقة فمنذ العام ١٩٤٨، غابت فلسطين وشعبها عن الخارطة السياسية، ولم تعد تظهر إلا بوصفها مشكلة لاجئين انسانية لا أكثر ولا أقل تحتاج إلى مساعدات انسانية، وتم تجاهل الأسباب السياسية للمأساة الفلسطينية بوصفها مأساة فقدان شعب لوطنه.

لقد كان الغياب الفلسطيني عن الخارطة السياسية الخطر الأكبر الذي هدد الفلسطينيين. ففي الوقت الذي ظهرت اسرائيل على جزء من فلسطين التاريخية، غابت الأجزاء الأخرى، عبر الضم كما كان الحال بالنسبة للضفة الغربية التي ضُمت إلى الأردن، أو عبر الإدارة كما كان الحال في غزة تحت الإدارة المصرية. كما شكل فلسطينيو الشتات عبئاً على العرب هكذا تعاملوا معهم طوال سنوات الشتات التي لم تنته بعد. وشكل الشتات والإقتلاع العمليتين التاريخيتين الحاسمتين في تاريخ الشعب الفلسطيني الحديث. وبحكم طبيعة الشتات فإنه يعمل على تفكيك الروابط بين التجمعات البشرية إلا أنه في التجربةالفلسطينية عمل على خلق الوحدة بفعل الضغط الكبير والموحد الذي تعرضت له التجمعات الفلسطينية في كل المواقع، فكانت الوحدة الوسيلة الوحيدة لتغيير وضع يهدد وجودهم في الصميم فأصبح «الفلسطينيون ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم البدائل الحية عن بلادهم». فلم يكن أمام الفلسطينيين أمام حروب الإلغاء والتشريد والإقتلاع إلا أن يعيدوا انتاج وحدتهم كشعب لأن سؤال الوجود هو السؤال الرئيسي الذي تعرض له الفلسطينيون منذ العام ١٩٤٨.

مع الإحتلال الإسرائيلي لما تبقى من الأرض الفلسطينية التي بأيدي العرب، أخذ المشروع الصهيوني يقضم الأرض الفلسطينية الجديدة التي وقعت تحت يده. والفلسطينيون الذين بدأوا ينجزون شيئاً قبل أعوام قليلة على مستوى الهوية الوطنية واعادة الإعتبار لوجودهم كشعب من خلال انطلاق الثورة الفلسطينية ومن خلال تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية بقرار من القمة العربية، وجدوا أنفسهم في مواجهة احتلال اسرائيلي جديد، مما دفع باتجاه وحدة الثورة والمنظمة، ليبدأ ظهور الهوية الوطنية الفلسطينية من جديد، بتمثيلها الكيان المعنوي للشعب الفلسطيني في كل أماكن تواجده.

لم يستطع الإحتلال الإسرائيلي الجديد أن ينجز في الأرض الفلسطينية التي وقعت في يده، ما أنجزه في العام ١٩٤٨، رغم كل محاولات الطرد والمشاريع الإستيطانية المكثفة التي شرعت اسرائيل في إقامتها في الأراضي المحتلة، لقد تعلم الفلسطينيون الدرس، وكان البقاء في الأرض هو الحل في مواجهة الإحتلال الإسرائيلي الجديد.

وضع الإحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة القضية الفلسطينية في مرحلة جديدة، وزاد من تشابكها وتعقيدها، فبعد أن استطاعت الحركة الصهيونية أن تقيم مشروعها في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، والتي نتج عنها تشريد الشعب الفلسطيني واقتلاعه من وطنه، أصبح جزءاً آخر من هذا الشعب يقع تحت الإحتلال الإسرائيلي، الذي يعتبر فلسطين كلها «أرض إسرائيل». لذلك لم تنظر إسرائيل إلى هذا الإحتلال أيضاً إلا بوصفه استكمالاً للمشروع الصهيوني، لكن في هذا الموقع بالذات كانت هناك مشكلة السكان الذين بقوا في الأرض الفلسطينية، ومنذ اليوم الأول للإحتلال اعتبرت اسرائيل أن مشكلتها الرئيسية في

الأراضي المحتلة هي السكان.

لقد تم تحديد الواقع الجديد في الاراضي المحتلة، بوصفه واقعاً احتلالياً، ولم تستطع كل الممارسات الإسرائيلية من ضم القدس الشرقية وتكثيف الإستيطان فيها من تغيير هذا الوضع، لقد تم رفض الواقع الإحتلالي من خلال قرارات الأمم المتحدة، ولم تجد عملية ضم القدس أي تأييد رسمي من الدول الكبرى. مما أبقى الإنجازات الإسرائيلية في الاراضي المحتلة انجازات متواضعة، رغم كل الجهود الإسرائيلية الرسمية وغير الرسمية لتغيير الوقائع على الأرض الفلسطينية.

من هنا نستطيع أن نقول، أن الشعب الفلسطيني تعرض خلال الخمسين عاماً الماضية إلى عمليتين تاريخيتين مترابطتين يفصل بينهما ثلاثون عاماً:

- العملية الرئيسية التي تشكل جذر الصراع الصهيوني الفلسطيني، وهي الإستيلاء على وطن الفلسطينيين وإلغاؤهم عن الخارطة السياسية وتشريد شعبهم، وعلى أنقاض هذا الشعب تم بناء الدولة الإسرائيلية بكل إمكاناتها العدوانية، ووظيفتها في قمع المنطقة وخدمة التوجهات والمشاريع الغربية، وقد تجاوزت وظيفتها المنطقة، لتشكل موقعاً متقدماً في واقع الحرب الباردة البائدة.

- إن الطبيعة العدوانية لدولة إسرائيل، كان لابد أن تقوم بالتوسع على حساب الآخرين ولأنها ولدت كدولة بلا حدود واضحة، فإن ذلك كان يعبر بشكل حاسم على ضرورة توسعها من جديد، وهذا ما كان في حرب العام ١٩٦٧، الذي كان حدثاً حاسماً، ولكنه منطلق من جذور المشروع المتمثل بدولة اسرائيل.

بذلك أصبح هناك مستويان للمسألة الفلسطينية، الأول، يتعلق بتأسيس إسرائيل والكارثة الفلسطينية والثاني، يتعلق باحتلال اسرائيل للأراضي الفلسطينية.

٣

رغم الطبيعة الالغائية للصراع والذي فرضته طبيعة الصهيونية، إلا أن الوضع الذي أسفر عنه الصراع كما يتجلى اليوم، أنتج تداخلاً على الأرض وبين الوجودين الاسرائيلي والفلسطيني. ويأخذ التعبير عن هذا التداخل أشكالاً مختلفة ومتفاوتة.

إن الكثافة والتراكم التاريخي للصراع، تحتاج إلى معالجة غير تقليدية، وذات طبيعة تعاقبية، خاصة وأن الحل الديمقراطي للمسألة الفلسطينية ذو طبيعة تناقضية، يقوم على أساس الانفصال من جهة، وعلى اعادة بناء الروابط الفلسطينية الاسرائيلية على أسس ديمقراطية غير اضطهادية.

إن ما تعرض له الفلسطينيون في اطار الصراع من سياسات الالغاء المتضامنة بين اسرائيل والوضع الدولي، جعل النضال الفلسطيني يتمركز بشكل أساسي حول اثبات الوجود والحفاظ على الهوية الوطنية التي تعرضت خلال قرن لكل محاولات المحو والالغاء. بذلك يكون الحق في الاستقلال الوطني واعادة تظهير الوجود الفلسطيني عبر مؤسسات فلسطينية مستقلة تقوم بالتعبير عن الهوية الوطنية الفلسطينية من خلال دولة فلسطينية، هو الحل للمشكلة الوجودية للفلسطينيين والتي عانوا منها طوال تاريخهم المعاصر. وفي ذات الوقت تشكل مدخلاً للحل الديمقراطي للمسألة الفلسطينية.

الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره في دولة مستقلة، هو التعبير عن تراجع الصراع وامكانية دخوله في أطول تعاونية، وبالتالي فهو يحتاج بشكل أساسي إلى تغيرات داخل اسرائيل نفسها، تقوم بشكل رئيس على الغاء صهيونية الدولة، لأن الصهيونية هي التعبير عن العدوانية الاسرائيلية والسياسات الالغائية. وبهذا الاعتراف بالشعب الآخر على الأرض الواحدة، يتم وضع الصراع على سكة الحل التاريخي لمشكلة من أكثر مشكلات العالم تعقيداً، ويعمل في ذات الوقت على تغيير طبيعة اسرائيل. وإذا نظرنا إلى التسوية القائمة حالياً، نجد أن احدى أهم اشكالاتها، تقوم على النظرة الاسرائيلية للتسوية، لأن الحزبين الرئيسيين في اسرائيل يتعاملان مع التسوية، بوصفها نصراً للصهيونية أو استكمال الغد الصهيوني في أفضل الحالات. ويتم ذلك ويترجم في سياق المفاوضات من خلال اتفاقات تقوم أساساً على الأولوية المطلقة للمصالح الاسرائيلية، وعلى رأسها المصالح الأمنية. إن السياسة الاسرائيلية كما يمكن قراءتها من خلال المفاوضات والاتفاقات الفلسطينية - الاسرائيلية الموقعة، تتعامل مع المشكلة الفلسطينية بوصفها قضية داخلية اسرائيلية، يجب معالجتها على قاعدة تخفيض خطرها إلى الحد الأدنى، وليست مشكلة شعب له الحق في تقرير مصيره، لذلك تظهر تجليات التسوية على الأرض الفلسطينية كحل أمني عنصري، يقوم على حل مشكلة السكان من خلال حصرهم في معازل بشرية عبر تطويقها بالشروط الاسرائيلية وبالطرق الالتفافية. أي أن اسرائيل تعمل على حل المشكلة على قاعدة الخلاص من السيطرة على البشر بوصفهم مشكلة اسرائيل، والاحتفاظ بالأرض بوصفها حق اسرائيل.

لذلك يحتاج حل الاستقلال إلى تغيرات داخل اسرائيل، تمس طبيعها الايديولوجية وعقليتها السياسية والأمنية الالغائية، ليقوم الحل الاستقلالي على أساس الاعتراف بالأرض الفلسطينية للشعبين، اللذين من حقهما اقامة دولتهما، وبما أنه هناك دولة قائمة، فيجب اقامة الدولة الأخرى إلى جوارها.

٤

ان مدخل الانفصال الاستقلالي للحل، يجب أن يرافقه اختبار للتعايش من أجل العمل على اعادة بناء الحل الآخر، الذي يدمج الدولتين في دولة واحدة على أرض واحدة، لكنها وحدة على أسس ديمقراطية، وحدة شعبين على أرض واحدة. فالمدخل الانفصالي ببناء دولة فلسطينية في الضفة والقطاع، يعمل على حل فروع أساسية في الصراع الفلسطيني الاسرائيلي. ولكنه لا يمس جذور الصراع بوصفه قضية اقتلاع شعب والغاء وطنه. وبذلك يكون الحل الديمقراطي بدولة واحدة مدخلاً لحل المشكلات العالقة في جذور الصراع. ولكن هذا الحل وفي الظروف الحالية يبدو أقرب إلى الحلم. فهو يحتاج إلى شروط أخرى من أجل انجازه. وتتعلق هذه الشروط أصلاً باسرائيل واعادة تعريف هويتها كدولة شرق أوسطية، والغاء يهودية الدولة، مما يعني إلغاء الدور الوظيفي لاسرائيل في المنطقة، ولكن هذا الحل الحلم، له كل امكانيات التطبيق إذا عمل الطرفان على ابداع حل غير تقليدي لمشكلة مستعصية. وهناك إمكانية لإختبار حل التعايش، في مدينة كمدينة القدس لايمكن تقسيمها بحكم الوقائع المتداخلة والأهمية الاستثنائية للمدينة، والتي يمكن بدء اختبار التعايش فيها، واعلانها عاصمة موحدة ومفتوحة للدولتين.

٥

الدولة الديمقراطية الموحدة للشعبين هي الحل الديمقراطي/ التاريخي للمشكلة الفلسطينية، وللمشكلة الإسرائيلية أيضاً، كما أعتقد، فهي وحدها الكفيلة بالقضاء على جذور الصراع. وأي حل آخر يعمل على حل القضايا الفرعية المنبثقة عن الصراع الرئيسي، هو حل قابل للحياة، وقد يشكل مدخلاً للسلام، ولكن لايمكن للسلام أن يأخذ طابعه المستقر والدائم إلا بالعمل على جذور الصراع، وهو ما يحتاج إلى العمل طويلاً ليس من جانب الضحية فحسب بل ومن جانب الجلاد أيضاً. تنازلات الضحية تحت ضغط القوة والصلف لاتنتج إلا تسوية غير متوازنة، مما يعرضها للإهتزاز، ولأن التاريخ المشترك هو ذاته تاريخ الضحية وتاريخ الجلاد، فلن يستطيع الجلاد أن يتقدم نحو السلام دون الإستماع إلى صوت الضحية والإقرار بحقها، والإعتراف بالجريمة التي ارتكبت. وهنا يكمن الفارق الأساسي بين التسوية والسلام ■■

الحرب الصامتة على الفلسطينيين

الإعتداء على الحق في الحياة

حلقة (١)

ماهر دسوقي



تنوع وتعدد الإنتهاكات الصهيونية لحقوق الإنسان الفلسطيني:

تتعدد مجالات وآفاق انتهاك السلطة الصهيونية لحقوق الإنسان الفلسطيني ففي الوقت الذي تظهر فيه للعيان واضحة مصادرة الأراضي، وعمليات القتل اليومية للأطفال والشيوخ والنساء الفلسطينيات، وبناء المستوطنات، والإعتداء المستمر على كرامة الإنسان الفلسطيني، ومنعه من الوصول إلى الأماكن المقدسة للقيام بشعائره الدينية، واستمرار تعذيب واعتقال المئات من أبناء الشعب الفلسطيني... الخ.

كانت تقف في «الظل» عملية انتهاك أخرى لاتقل شراسة أو خطورة، ولربما تكون أكثر فتكاً وشدة لكونها تستهدف التكوين المجتمعي الفلسطيني بمجموعه أسرة أسرة، وبيتاً بيتاً... الخ، وتمثل هذا الإنتهاك ومايزال «بحرب» صامتة، خطرة ومبرمجة تشن على الجسد والصحة والإقتصاد الفلسطيني والبنية المستقبلية لأبناء فلسطين، وذلك عبر ترويج أو تسهيل ترويج أو تهريب مئات الآلاف من الأطنان من المواد الغذائية والدوائية الفاسدة أو منتهية الصلاحية أو الملونة أو غير المجربة سابقاً على الإنسان، أو هي في قيد التجربة، أو غير الصالحة تماماً للإستخدام الآدمي، إضافة إلى تعزيز وتطوير شبكات توزيع المبيدات السامة المحظورة دولياً أو هناك قيود خاصة تفرض على ترويجها، إضافة إلى تغيير بعض الملونات لبعض المبيدات التي تساهم في القضاء التدريجي أو السريع على المحاصيل الزراعية الفلسطينية، أو في أدنى حالاتها تلويث الزراعة الفلسطينية بالسموم وفق خطة مدروسة للتاثير التدريجي على صحة المستهلك الفلسطيني. كما ويترافق هذا مع جانب ثالث آخر وهو إغراق الأراضي الفلسطينية والزراعية منها تحديداً بالمياه العادمة والملوثة والحاملة للمتبقيات الكيماوية القادمة من المستوطنات والمناطق الصناعية الإسرائيلية.

والهدف المشترك لذلك كله، هو زرع المرض والضعف وبالتالي الموت البطيء للإنسان الفلسطيني، فقد نظرت الحركة الصهيونية بعين الخطر دائماً، للتجمع والتزايد السكاني الفلسطيني بين جنباتها الإستيطانية العنصرية، لذلك عملت ومازالت على ابتكار اساليب قمع وعدوان مختلفة ضد التواجد المشروع للفلسطينيين على ارض وطنهم، فالديمغرافية الفلسطينية برأي القيادات الصهيونية، كانت ومازالت تشكل خطراً على الأمن القومي لكيانهم الإستيطاني.. وعليه فلم يكن مستغرباً أن تشن على الفلسطينيين حملات التنكيل والقتل المختلفة، وأكثر من ذلك، فرض التهجير عليهم عن أرض وطنهم، في حالات الحرب المعلنة، أما في الحالات التي «تصمت فيها المدافع» وتدخل حالة «الحرب» غير المعلنة، وهم وفقاً لمعتقداتهم، ينفذون ذات السياسات العنصرية بطرق واساليب مختلفة، والهدف المرجو من ذلك دائماً، المس بالديمغرافية الفلسطينية، وقدر الإمكان، أو كلما أتيحت لذلك فرص!!

ووفق الحالة العدوانية المباشرة والواضحة الأولى، أو الثانية الصامتة، يحاولون ابقاء أقل عدد ممكن من الفلسطينيين لتسهل السيطرة عليهم أو تحويلهم لمجرد أقلية لامعنى لوجودها، أو زرع الضعف والمرض والموت البطيء في الجسد والصحة الفلسطينية.

ومايزال الصهاينة مستمرين في ذلك رغم الشكوك حول نجاح الحالة العدوانية الأولى، المجازر، الطرد الجماعي أو الفردي، اغتصاب الأرض.. الخ، أو احتمالية نجاعة الحالة العدوانية الثانية، مادة الدراسة هذه، وهدفهم في ذلك ابقاء حالة من «الحماية دائمة» لتجمعهم العنصري، وغير الشرعي، من خطر التزايد السكاني الفلسطيني، مجسدين بذلك حالة من «المالتوسية» متقدمة على أصحابها الأوائل وواضعي أسسها ومنطلقاتها النظرية؟!

وعلى الرغم، من أن هذه الدراسة ليست في التأصيل المنهجي لفكرة حماية المستهلك الفلسطيني، بقدر ما هي دراسة أولية لمجمل التفكير المنهجي القادم حول حماية المستهلك، ستحاول تتبع الإنتهاكات الصهيونية وتوثيقها قدر الإمكان، فمما لاشك فيه أن المكتبة الفلسطينية تخلو من الآن من هذه المتابعة الهامة، أو بعد الحماية للمستهلك الفلسطيني في مجال نشاطه وحركته الإقتصادية، أو الخدماتية العامة.

فغياب الواقع من حياة أي أمة، يجعلها فريسة سهلة للتخلف والتبعية والإحتلال بمعطياته المختلفة. فإدراك الواقع والتعامل معه وزرع الوعي في الحالة الجماهيرية هو مقدمة أساسية للقفز فوق المعيقات الموضوعية والذاتية المختلفة، فاستيعاب الحالة الماثلة أو القائمة، والقدرة لاحقاً على التعامل معها بعيد وحكمه لامن باب التعايش السلبي مع الأمور، بقدر أعمال العقل أكثر في مقدمات الخروج من الواقع السلبي، دون تفاؤل كاذب أو تشاؤم يشل الإرادة، يعتبر مفتاحاً للمستقبل.

نعم، هناك عجز واضح على مستوى الأداء المحلي الفلسطيني لحماية مستقبلنا، ولحماية النشء والصحةالعامة من مخاطر الملوثات الصهيونية المختلفة، وعبث رجالات الفساد المحليين، ورموز الكمبرادور المحلي، ويجب أن نقر ونعترف بذلك، لكن في المقابل أن نؤكد هذه الحالة العدوانية الصهيونية، ليست قدراً، أو حالة مستعصية على التعامل معها، بقدر ما هي تحدٍ وتحدٍ صعب، وهي انعكاس لواقع معقد ومركب لدرجة بعيدة، فرضه المحتل العنصري وبعض المنتفعين منه، وشرائح كمبرادورية مختلفة على الشعب الفلسطيني.

وعليه، يكون من المفيد جداً، إدراك الطابع الاجرامي لجوانب «الحرب الصامتة»، حرب الاعتداء على الحق في الحياة للانسان الفلسطيني، أولاً، وادخال الشعور بقدرة القانون على التعامل مع المخالفين.... وسماسرة البشر ورجالات الكمبرادور محلياً، فتعمد الاهمال هذا على المستوى المحلي الفلسطيني، أو عدم ادراك طبيعة الخطر القائم، ثانياً، كفيل بوضع المجتمع الفلسطيني على حافة حالة خطرة جداً، لا يرتجيها لنفسه أي مجتمع حضاري له أو لأبنائه، أو لأجياله القادمة.

أما الحالة العدوانية الاحتلالية المفروضة على المجتمع الفلسطيني، بجوانبها المختلفة، بما فيها موضوعة الملوثات المختلفة، فهي عملية فعل وطنية عامة، من الضروري ان تتكاثف تبعاً لها الجهود المتعددة، لدرء الخطر، فشحذ الهمم المستمر، وفضح الأساليب المختلفة للمحتل، وحث منظمات العمل الصحية، والحقوقية والانسانية الدولية، لأخذ دورها في حماية الانسان الفلسطيني، وفق قوانين ومعطيات تلك الجهات التي تشدد في كل مناسبة على أهمية حقوق الانسان، والحفاظ على البيئة، ومكافحة التخلف، يعتبر بعداً فعالاً في محاصرة، المالثوسية الصهيونية الجديدة.

ومن الايجابية بمكان، الإدراك ان الحالة العدوانية هذه لا تقتصر على فلسطين دون غيرها من الدول العربية المجاورة، ففي حادثة مميزة أشارت إليها الصحافة المصرية، أنه سجل في شهر يوليو / تموز ١٩٩٧م، دخول دواجن اسرائيلية مريضة إلى الأسواق المصرية، كما وضبطت كميات كبيرة من مركزات العصائر، وهي غير صالحة للاستخدام الآدمي، وقدرت بـ(١٢) ألف كغم مصدرها مصنع «ادوارد» الاسرائيلي. وكذلك الحال بالنسبة للعديد من المبيدات الحشرية المحظورة دولياً والتي أدخلت إلى مصر لضرب المنتج الزراعي، وللتسبب بأمراض خطيرة للمزارع والمواطن المصري.

ومن نافل القول هنا، أنه لولا المساعدة الكبيرة «والخدمات الجليلة» التي يقدمها رموز الفساد ورجالات الكمبرادور، والمستفيدون من حالة التبعية والتخلف، لصعب على المحتل اختراق الأسواق والزراعة الفلسطينية أو العربية، ومن هنا، فإنه دون تعزيز الطبيعة الانتاجية للاقتصاد الفلسطيني، ومحاصرة القطاعات الطفيلية، واقتصاد المضاربة، وعقلية النهب والسلب، والزبائنية والقرابة والمحسوبية، وقيم الارتزاق، والتربح السريع وعقلية اضرب واهرب، فإن الأسواق الفلسطينية ستبقى مرتعاً خصباً لمظاهر الفساد، وأكثر من ذلك، فخطر تحول الاقتصاد الفلسطيني لخدمات سلبية ومضاربة سيبقى ماثلاً، ومن المنطقي وفقاً لذلك ان تسيطر أيضاً طبقة مافيوية لا دين لها ولا مبدأ ولا قانون.

الغذاء والدواء السليم حقوق انسان من الدرجة الأولى:

تعتبر قضايا وحقوق الانسان كثيرة ومتعددة، ومن أولى بل وأهم تلك الحقوق حصول الانسان على الغذاء، والدواء، والشراب السليم، والمسكن المناسب، والبيئة غير الملوثة، وهي جميعاً مع غيرها من الحقوق المدنية أصبحت قضايا مفروغاً النقاش منها، لا بل وتعتبر من بديهيات حقوق الانسان، وعلى الرغم من ذلك ماتزال هذه المعادلة الانسانية والمدنية تنتهك يومياً وبشدة في الأراضي الفلسطينية سواء من قبل الاحتلال، أو من قبل الشرائح الكمبرادورية الفلسطينية المرتبطة بطبيعة الحال مع المحتل بشكل أو بآخر، عدا عن دور العملاء والمرتبطين أمنياً مع الصهاينة.

فهل يعقل والحال هذا أن نتحدث ونسهب بالحديث عن عموميات القضايا، على أهمية ذلك، والحق الأساسي للانسان الفلسطيني مازال ينتهك، ويلاحق في لقمة عيشه اليومية هو وأطفاله، سؤال من المفترض أن يؤرق منظمات العمل الصحية، والانسانية، والحقوقية، المحلية، والدولية، الناشطة في مجال حقوق الانسان!!.

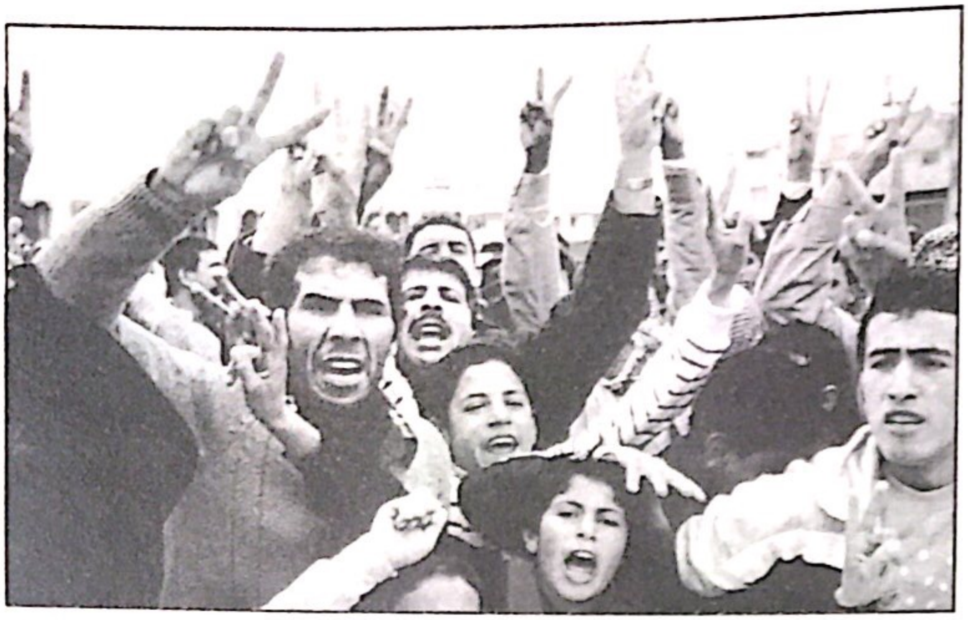
ومن البداهة بمكان، الاشارة إلى أن عمل ونشاط حماية المستهلك الفلسطيني، يعتبر درباً من دروب الثقافة المدنية وحقوق الانسان، الذي أكدت عليه ودعمته، الشرائع السماوية والأعراف والقوانين الوضعية الانسانية.

فالله سبحانه يقول «كلوا من الطيبات»، أما النصوص الانسانية فأكدت بدورها أيضاً على ذلك، ونصت المادة (٢٥) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان على أن «لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كافٍ للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والعناية الطبية»... الخ من النص، ويوجب القانون الدولي الانساني صيانة الصحة العامة وشروطها ومكافحة الأمراض المعدية والأوبئة في الأراضي و يجري العمل «من أجل تحسين وسائل الانتاج، وحفظ الأغذية وذلك عن طريق الانتفاع الكلي من المعرفة التقنية والصحية، وينشر المعرفة بمبادىء التغذية وبتنمية النظم الزراعية أو اصلاحها، بحيث يحقق ذلك أكبر قدر من الكفاءة في التنمية والانتفاع من الموارد الطبيعية».

ولكي نضع الأمور في نصابها، للانطلاق إلى بعض العناوين والانتهاكات الملموسة وبالأرقام والحقائق، حول تدمير الموارد الطبيعية الفلسطينية، ووسائل انتاجه المتاحة، والتلاعب بغذائه ودوائه، من المفيد الاشارة هنا إلى العملية القذرة التي قام بها ونفذها أحد عناوين التعامل والتآمر مع المحتل ـ الفحماوي ـ على الشعب الفلسطيني، وقواه الوطنية، والذي كان أدلى باعترافاته في سجن الرملة لاحقاً، بعد ان أخضع للتحقيق من قبل المناضلين الفلسطينيين، ونفذ فيه حكم الشعب الفلسطيني، أفاد، أنه نفذ فعلته النكراء بتسميم مياه الشرب لطالبات مدرسة جنين، بناءً على أوامر من ضباط المخابرات الاسرائيلية، وذلك في العام ١٩٨٤م. وقد تبين بعد فحص المياه ان خطر المادة التي وضعت يتعدى حالة التسمم الآنية أو الخطر الصحي المباشر، ليصل إلى امكانية اصابة الفتيات الفلسطينيات بالعقم؟ ولربما كان المقصود أصلاً هو عدم انفضاح أمر تلك المادة، لكن مشيئة القدر أظهرت ذلك عبر حالات التسمم الجماعية.

بدايات العمل والمتابعة الفلسطينية، واستغلال الظروف الصعبة من قبل الصهاينة:

لاشك على الاطلاق أن الحرب الصامتة والقذرة التي تشن على الفلسطينيين في غذاء أطفالهم، وتلويث بيئتهم، ماتزال مستمرة، لا بل و«تعوّد» الشعب الفلسطيني على أن تكثيف الانتهاكات يأتي في المحطات الصعبة والمعقدة سياسياً، واقتصادياً، فلقد تنبهت لجنة حماية المستهلك الفلسطينية لهذا الخطر، وان كان متأخراً بعض الشيء، إلا أنه وكما يقال ان تأتي



متأخراً خير من أن لا تأتي على الاطلاق.

لقد استغل الصهاينة حالة الارباك الشديد التي عاشتها المنطقة عموماً والشارع الفلسطيني خصوصاً، إبان الاستعداد الثلاثيني الاستعماري لضرب العراق، على اغراق المناطق المحتلة بالأطنان من المواد الغذائية والدوائية الفاسدة للفلسطينيين والعرب في السجون الصهيونية، وهذا أمر تم الإشارة إليه بشكل واضح في عقر دار الاحتلال الكنيست الاسرائيلي، فتعامل مع الشعب الفلسطيني عموماً والأسرى خصوصاً «كفئران مختبر» لأدويتهم غير المجربة على الانسان سابقاً، وكذلك الحال لبعض المواد الغذائية الملوثة أو منتهية الصلاحية، وفي ذلك يطول المقال، ونكتفي بالاشارة إلى حادثتي التسمم في سجن نفحه الصحراوي مؤخراً، وادخال الدجاج الفاسد إلى أسرى عسقلان قبل حوالي عام من الآن.

كما وتشير المادة الثالثة من الاعلان الصحفي لحقوق الانسان، «لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه»، في حين تؤكد المادة الثانية من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، خاصة الفقرة الأخيرة منه، «لا يجوز بحال من الأحوال حرمان شعب ما من وسائله المعيشية الخاصة»، وهذه الاشارة هامة فيما يتعلق بالمحاولات المختلفة لتلويث الأراضي الزراعية، مصدر المعيشة الأساسي لقطاعات واسعة من الفلسطينيين.

ومن المهم الاستشهاد هنا، بالمادة العاشرة، نقطة ٣، من ذات العهد الاقتصادي، والمتعلق بالأطفال خاصة وان الأطفال الفلسطينيين، كما سنرى لاحقاً هم الفئة الأكثر استهدافاً في الملوثات الغذائية والدوائية، حيث تشير المادة إلى «وجوب اتخاذ اجراءات خاصة لحماية ومساعدة الأطفال... وانه يجب فرض العقوبات القانونية على من يقوم باستخدامهم في أعمال تلحق الضرر بأخلاقهم أو بصحتهم أو تشكل خطراً على حياتهم أو يكون من شأنها اعاقة نموهم الطبيعي... الخ».

وعند التدقيق بهذه المادة تحديداً نجد أن هناك جانبين:

أ ـ الاستخدام بمعنى التشغيل ـ وهذا أمر واقع في المحيط الفلسطيني فيما يتعلق، باستغلال رموز الفساد المحليين، وسماسرة البشر، للاطفال في عمليات التزوير والتزييف واعادة التغليف للمنتجات الفاسدة أو منتهية الصلاحية، الأمر الذي يلحق الضرر بالقيم والأخلاق لهؤلاء الأطفال.. فكيف يمكن تصور مجموع أو جيل تربى على الغش والتزوير لمجموعة من محترفي النصب والاحتيال والتزوير مع تقدمهم في العمر؟!.

ب ـ الاستخدام بمعنى ـ ان يستخدموا كحقل تجارب لمواد فاقدة للصلاحية، أو غير صالحة.

العمل على تحضير غرف محكمة الاغلاق، وبالتالي ادخال مواد غذائية ودوائية إليها أيضاً محكمة الاغلاق»، ومن هنا جاءت الهجمة على الفلسطينيين، فلقد أغرقت الأسواق الفلسطينية بالمواد المحكمة الاغلاق، المعلبات، باختلاف أصنافها وأشكالها ومسمياتها، حيث استغل الصهاينة حالة الفزع التي زرعوها من خطر الكيماوي، لترويج كافة السموم التي بحوزتهم في الأسواق الفلسطينية، خاصة وانه تجمعت لديهم كميات كبيرة من المنتجات، نتيجة المقاطعة الفلسطينية لبضائعهم إبان الانتفاضة، عدا عمّا كان متكدساً في مخازنهم من سنوات خلت، اضافة إلى ما قاموا بتجميعه من التبقيات في المصانع وغير الصالح للاستخدام... وألقوا بذلك كله للمستهلك الفلسطيني، عبر وكلائهم المحليين، أو شبكات العملاء الموزعة في الضفة وغزة، أو بعض ضعاف النفوس من التجار المحليين والذين ينطبق عليهم قول باسكال المعروف «المصلحة تعمي البصر»، أو عبر تزوير تلك المنتجات غير الصالحة، بأغلفة مزورة جديدة، أو عبر عمليات التهريب المختلفة التي نفذوها.

مستغلين بذلك هذه الحالة غير المسبوقة لادخال السموم لكل بيت فلسطيني ولقد أظهرت عمليات الكشف والتدقيق التي قامت بها مجموعة من المتطوعين، أن هناك «مواد غذائية ودوائية» لاتصح كغذاء أو كعلاج لحيوانات اعتادت تناول الجيف والفطائس، من هنا جاءت لجنة حماية المستهلك الفلسطينية. كأول تجربة من نوعها في التاريخ الفلسطيني المعاصر، وبدأ التحرك والإتصال بكل من بإمكانه التأثير في المحيط المجتمعي لدرء الخطر عن أرجاء الوطن. وعلى الرغم من منع التجول الذي فرض ولمدة (٤٥) يوماً، استطاعت اللجنة الوصول إلى أكبر عدد ممكن من المواطنين بفضل التعاون مع لجان الأحياء ولجان الحراسة الليلية، وإن كان هناك خطر كما زُعم عن الكيماوي، فالخطر الحقيقي والملموس والمتربص بالفلسطينيين كان في غرفهم المحكمة الإغلاق!!

وأكثر من ذلك، فالكمامات الواقية من الغازات السامة التي وزعت على الفلسطينيين من قبل ما عرف باسم (الإدارة المدنية)، كانت تجد صالحة وفاقدة للصلاحية منذ الأعوام ١٩٧٢-١٩٧٤ وفي ذلك سؤال كبير أيضاً؟!

وهكذا استمر النشاط المبرمج والمنهجي من قبل الصهاينة وحتى يومنا هذا، واكتملت الدائرة العنصرية للصهاينة.. فالحصار، والتجويع والبطالة، وتلويث البيئة، ومصادرة الأراضي، والقتل المباشر، وزرع المرض والضعف والموت البطيء في الجسد الفلسطيني... الخ. اتحدت على شكل أداة احتلالية هدفها التخلص من الفلسطيني مجسدين في ذلك مقولتهم العنصري المعروفة، «الفلسطيني الجيد هو الفلسطيني الميت». على أن الأمر المغيب، كان العمل الميداني لإحصاء الحالات المتضررة أو المصابة بالتسمم أو الوفيات التي تنشأ عن تناول تلك المواد، على أن العمل قد تطور لاحقاً باتجاه المراد مسح سنوي لحالات التسمم، مع العلم أن إحصاء حالات الوفاة يحتاج إلى جهود كبيرة ومتضافرة خاصة وأن حالات الوفاة الناتجة عن تناول تلك السموم قد لاتظهر للعيان بشكل آني، وفي هذا تطور اللجنة الآن مشروعاً وطنياً لدراسة طبيعة الأمراض الناتجة عن تناول مواد ملوثة على اختلافها ودرجات السمية التي تتراكم بالأجسام الفلسطينية والأبعاد والمخاطر المختلفة المتعلقة بذلك.

(يتبع)...

التطبيع بين الخاص والعام:

مناقشة حول الرؤية الإسرائيلية للعلاقات العربية - الإسرائيلية

حلقة (١)

ماجد كيالي

على خلفية المفاوضات العربية - الإسرائيلية ومسار عملية التسوية، برزت قضية في غاية الأهمية، أثارت ولازالت جدلا واسعا وصاخبا في الأوساط: السياسية والثقافية والاقتصادية العربية، وهي قضية التطبيع ومستقبل العلاقات العربية - الإسرائيلية. وقد عكست وسائل الإعلام العربية مناقشات واسعة ومعمقة لهذه القضية، أظهرت القلق في شأن المستقبل العربي، كما كشفت الإلتباسات والتعقيدات المحيطة بهذه المسألة، فضلا عن اختلاف الآراء في شأنها.

تأسيسا على المناقشات المذكورة، يمكن التعرض لمسألتين أساسيتين: ما هو التطبيع وما هو الشكل الخاص للتطبيع على صعيد العلاقات المستقبلية العربية - الإسرائيلية؟ ثم هل الأطراف المعنيون (إسرائيل من جهة والعرب من جهة أخرى) مهيئون في هذه المرحلة لعملية التطبيع؟ طبعا على هامش هاتين المسألتين تبرز أسئلة فرعية كثيرة.

التطبيع بين المفهوم والتجربة

الطبع هو السجية. والتطبيع هو عودة الأمور والظواهر إلى سجيتها أو طبيعتها، وفي موضوعنا الراهن، يعني التطبيع عودة الظواهر الاجتماعية والاقتصادية وغيرها إلى طبيعتها. وهذا يعني في الحقيقة، نفي الواقع الراهن لأنه واقع غير طبيعي - اصطناعي جرى فرضه عبر نقل مجموعات بشرية من أصول ثقافية - قومية متعددة لا تجمعها إلا الرابطة الدينية، للاستيطان في فلسطين وتهويدها عن طريق اقتلاع شعبها وتشريده بوسائل القوة والإكراه، وبمساعدة الدول الاستعمارية الكبرى، وإن نفي هذا الواقع يعني بالضرورة تفكيكه، وتاليا العمل على عودة الأمور إلى طبيعتها، مما يفترض عودة الشعب الفلسطيني إلى وطنه والإقرار بعروبة فلسطين والتعايش بين مواطنيها، بصرف النظر عن أي تمييز عرقي أو ديني، في إطار الانتماء الحضاري للمنطقة.

هذا هو المفهوم الحقيقي للتطبيع، وقد سبق للحركة الوطنية الفلسطينية أن طرحت حلا من هذا النوع للقضية وللمشكلات التي تسببت بها المسألة الإسرائيلية، من خلال إقامة دولة ديمقراطية في فلسطين في إطار الانتماء الحضاري للمنطقة العربية يتعايش فيها الجميع.

لكن التطبيع الذي يجري الحديث عنه في هذه المرحلة، وفق تداعيات عملية التسوية والمعطيات العربية والدولية الراهنة، لا يمت بأي صلة للرؤية المذكورة، فهو لا يفترض العودة بالظواهر إلى طبيعتها، وإنما البناء على الواقع غير الطبيعي، بصرف النظر عن طبيعته أو منطقه القسري. ليس مهما بالنسبة إلى مفهوم التطبيع السائد حاليا، إن كان هذا الواقع قد جرى فرضه واصطناعه عبر مراحل تاريخية معينة، ووفق معادلات دولية وإقليمية وديمغرافية واقتصادية وثقافية، بغض النظر عن إرادة أهل المنطقة ومصالحهم وهويتهم وآفاق تطورهم الطبيعية!.

في التجربة العالمية المعاصرة، هناك حالات من التطبيع بين أعداء؛ على سبيل المثال تطبيع العلاقات بين الاتحاد السوفياتي سابقا والولايات المتحدة الأمريكية، أو بين هذه الأخيرة والصين أو فيتنام لاحقا. كذلك لدينا تجربة التطبيع في جنوب أفريقيا، في الحالات الأولى جاء التطبيع بين الدول تلبية لمصالح الطرفين، وتعبيرا عن تطورهما السياسي والاقتصادي، وإحساسهما بعدم جدوى استمرار الصراع بأشكاله العنيفة. وساعد على تعزيز حالة التطبيع توازن القوى بين الطرفين. المهم في هذه الحالات أن التطبيع جرى في سياقه الصحيح بين طرفين لكل منهما كيانه السياسي الطبيعي، واتفقا على إقامة علاقات عادية بعد سنوات من القطيعة أو العداء بسبب تضارب النظام الاجتماعي (الاتحاد السوفيتي والصين في مقابل الولايات المتحدة) أو بسبب الاعتداء والاحتلال (فيتنام والولايات المتحدة الأمريكية). أما بالنسبة إلى الحالة الثانية، ففي جنوب إفريقيا جرى التطبيع بين جمهور المستوطنين البيض والأغلبية السوداء، تنازلت من خلاله الأقلية البيضاء عن الحكم، وفككت نظام التمييز العنصري بكل مؤسساته وقوانينه، واعترفت بحقوق الأغلبية التي تسلمت السلطة من خلال ممثليها المنتخبين ديمقراطيا؛ هذا الوضع أمكن التوصل إليه بسبب العزلة الدولية والإقليمية التي ظلت تحيط بنظام التمييز العنصري في جنوب إفريقيا، وبسبب ارتفاع كلفة استمرار الأقلية البيضاء في الحكم، وأساسا بفضل النضال الشاق والدؤوب لشعب جنوب إفريقيا.

بالنسبة إلى العلاقات العربية - الإسرائيلية، أو عملية التطبيع العربي مع إسرائيل، فهي تبدو مختلفة تماما عن الأمثلة والتجارب التطبيعية التي تحدثنا عنها، وذلك للأسباب الرئيسية التالية:

١ - إن هذه العملية، كما أسلفنا تقوم من أساسها على واقع غير طبيعي - اصطناعي وبوسائل الإكراه والقوة وفرض الأمر الواقع.

٢ - إن إسرائيل ليست دولة عادية في المنطقة، وهي ليست دولة استيطانية - عادية (كحالة جنوب إفريقيا في ظل حكم الأقلية البيضاء).

إن إسرائيل تكتسب فرادتها من كونها مشروعاً استيطانياً - عنصرياً - إحلالياً، وهي تطرح نفسها بوصفها دولة يهود كل العالم، وتقوم على أساس الاستيطان الإجلائي (لأهل الأرض الأصليين) والإحلالي (للمستوطنين اليهود القادمين من شتى بقاع الأرض).

٣ - إن المشروع الإستيطاني - الإحلالي الصهيوني في فلسطين، ليس مشروعا اقتصاديا في ذاته، بل هو مشروع سياسي - وظيفي أساسا، يستهدف خدمة المركز الإمبريالي الذي يتبع له (بريطانيا سابقا والولايات المتحدة الأمريكية بعدها) وهو مشروع خاسر من الناحية الاقتصادية الذاتية، يعوض خسارته من العوائد المالية الكبيرة التي يتلقاها من المركز الإمبريالي، نتيجة دوره السياسي الوظيفي في المنطقة.

٤ - إن عملية التطبيع لا تجري وفق مخاض طبيعي من علاقات عداء إلى علاقات عدم عداء، ثم إلى إقامة علاقات عادية، وصولا إلى التطبيع والتعاون الإقليمي، بل إن هذه العملية تفترض حرق كل هذه المراحل دفعة واحدة، ولذلك فهي ليست ثمرة تطور طبيعي للعلاقات العربية - الإسرائيلية، وإنما هي نتاج وضع سياسي دولي وإقليمي يجري فرضها بغض النظر عن مدى قابلية الوضع العربي لهذه العلاقات وحتى بتجاهل المصالح العربية الحقيقية، ومن دون تلبية الحد الأدنى من الحقوق الوطنية الفلسطينية.

في ضوء هذه الاعتبارات، من المتعذر قبول الفرضية التي تنطلق من إمكان التطبيع، حتى على أساس البناء على الواقع الراهن - غير الطبيعي (إذا افترضنا إمكان تجاوز الوقائع التي أنتجت إسرائيل نفسها).

ماهية التطبيع العربي - الإسرائيلي

ما هي طبيعة التطبيع الذي يجري العمل على فرضه في هذه المرحلة، ثم ما هي أغراضه وأبعاده؟

إن التابع لمسار المفاوضات العربية ـ الإسرائيلية، والسلوك السياسي الأمريكي والإسرائيلي في هذه المرحلة، يكتشف أن ما يجري فرضه على العرب لا يمكن أن يسمى تطبيعا إلا بالمعنى المجازي، حتى لو تجاوزنا البعد التاريخي ـ السياسي للصراع العربي ـ الإسرائيلي؛ ذلك أن التطبيع من وجهة النظر الأمريكية ـ الإسرائيلية، لا يفترض إنهاء حالة الحرب والعداء مع إسرائيل (بما في ذلك تذويب العناصر الحادة للقضية الفلسطينية) فحسب، ولا يقتصر على مجرد إقامة علاقات عادية وطبيعية معها في مختلف المجالات؛ التطبيع مع إسرائيل يتجاوز كل هذه الاعتبارات وصولا إلى إقامة منظومة متكاملة من علاقات التعاون الثنائي والإقليمي في شتى المجالات وإقامة نظام إقليمي جديد في منطقة الشرق الأوسط وهنا بيت القصيد، وهذا هو المعنى الحقيقي لمصطلحات التسوية والتطبيع (بنك وغرفة تجارة وغرفة لرجال الأعمال.الخ) ، وكذلك قيام مشروعات إقليمية للبنية التحتية (مياه واتصالات ومواصلات وبحث علمي .الخ) فضلا عن المشروعات الاقتصادية الثنائية والمتعددة؛ ومثل هذا النظام الإقليمي يضمن ربط جميع الأقطار العربية المعنية بمصالح مشتركة مع إسرائيل، ويجعل قدرتها على اتخا ذ القرارات محدودة، حتى في نطاق سيادتها الوطنية، إذ ستصبح المؤسسات الإقليمية هي العنصر المقرر . كما أن هذا الوضع يجعل من كلفة العودة إلى مناخ العداء والحرب عالية جدا، إن لم تكن متعذرة. ثم إن علاقات التعاون والمشروعات المشتركة من شانها أن تؤسس لمناخات سياسية ـ ثقافية ـ قيمية جديدة، ولإنتاج بنى اجتماعية، مستفيدة من هذا الواقع الجديد، وتعمل على استمراره.

من ناحية أخرى، إن هذا الوضع سيؤدي إلى تكريس تبعية أقطار المنطقة للغرب، كما سيكرس الموقع المتميز لإسرائيل على النطاق الإقليمي. وبحسب الكاتب اللبناني بول شاوول: التطبيع من شروطه الأولى سرقة مياهنا واقتسام رغيفنا وغيومنا وأمطارنا وجبالنا»[1].

إن التطبيع الذي يجري العمل على فرضه، لا يحتمل عبارات مطاطة ولا صيغاً مبهمة، وهو لا يعتمد على نياتنا ولا على رغباتنا فحسب؛ التطبيع يعني وجود إطارات ومؤسسات وبنى تحتية ومجالات عمل إقليمية.

التطبيع بهذا المعنى هو مشروع لإعادة صوغ الخريطة الجغراسية العربية على أسس مصلحية ـ اقتصادية ووظيفية ـ سياسية؛ خريطة متعددة القوميات والثقافات، هذا هو مضمون النظام الشرق أوسطي المقترح.

في التطبيع الثقافي

التطبيع الثقافي جزء من عملية التطبيع المطروحة في المنطقة (كما تحدثنا عنها) ، وهو لا يقوم على مسلمة التعايش أو التفاعل بين الثقافات، ولا يمكن اعتباره نتاج التطور الحضاري ـ الثقافي في المنطقة. التطبيع في المجال الثقافي لا يتعلق بمحاولات بعض المثقفين التعاطي مع هذه المسألة باعتبارها قضية انفتاح أو انغلاق، أو على أنها قضية صراع بين الأصالة والمعاصرة، أو بين التراث والحداثة.الخ، فلا مكان لهذه المسائل في هذا السياق، ويجري إقحامها قسرا في إطار المناقشات المتعلقة بالموقف من التطبيع، تماما كما يجري إقحام مسألة الحوار بين الأديان.

وبشكل محدد فلمسألة التطبيع وجهان: الأول يخص موضوع التطبيع مع إسرائيل؛ والثاني يخص الاختراق الغربي للثقافة العربية.

من جهة إسرائيل، فإن مسألة التطبيع الثقافي بحسب الشاعر الفلسطيني محمود درويش: «ليست في الإطلاع على الثقافة الإسرائيلية، وإنما هي في محاولة الإسرائيليين أن يجعلونا نقبل مفاهيمهم حول ذاتنا، وأن يقوموا برواية سيرة شعبنا وأرضنا من وجهة نظرهم الاستيطانية التي ترى في العرب غرباء على أرض فلسطين»[2]. وهذا هو المعنى المطلوب من التطبيع الثقافي: إلغاء الذاكرة التاريخية والقبول برواية العدو، وحتى إدانة روايتنا ومجمل مسلكياتنا التي انبنت عليها، باعتبار أن الدفاع عن الحق هو اعتداء، أو باعتبار النضال هو إرهاب. وبحسب هذه الحقيقة التطبيعية المزيفة، يستنتج د. عزمي بشارة أنه: «لم يكن عقد مثل هذه التسويات ممكنا لولا تحييد الذاكرة التاريخية (.) إن قبول الضحية بأن يتردد المجرم في مصافحتها على مرأى من العالم أجمع، هو سقوط حضاري. (.) العلاقات الحضارية لا يمكن أن تكون طبيعية إلا إذا أخذت الذاكرة التاريخية في الاعتبار، وإلا إذا قامت على أساس المساواة[3]». ثم لو افترضنا جدلا بأن واقع الهزيمة أمام المشروع الإمبريالي ـ الصهيوني سيؤدي إلى فرض حال من علاقات الأمر الواقع، فإن التساؤل الذي يطرح نفسه هنا، كما يقول د. إدوارد سعيد، هو : «كيف للمهزوم أن يتصرف؟ هل تتضمن الهزيمة إلغاء الذات؟ هل تعني فقدان الأيمان بعدالة قضيتنا وبحقائق تاريخنا الخاص؟»[4].

ونظرا إلى هذا الهدف الإسرائيلي المتضمن في التطبيع الثقافي، فقد رأينا إسرائيل تطالب بتعديل مناهج التربية والتعليم في الأقطار العربية، وتطالب بتعديل الخطاب السياسي والإعلامي لهذه الأقطار، بما يتناسب مع مفهومها للتطبيع ومتطلبات النظام الإقليمي الجديد، تعديلا لا يقر إلا بالرواية الإسرائيلية لتاريخ المنطقة، ولا يعترف لأحد بحق فيها فوق حق إسرائيل. وفي هذا الإطار يمكن فهم الإصرار الإسرائيلي على تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني، وإدانة تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية واعتباره «إرهابا».

بعدما حددنا مفهوم التطبيع الثقافي مع إسرائيل واستهدافاته، يمكننا مناقشة بعض الآراء التي طرحت في إطار السجال الذي يدور حول هذه المسألة، وخصوصا ما يتعلق بالرؤية المغالية للتفاعل مع الثقافة الإسرائيلية ومحاولات الاختراق الثقافي الإسرائيلي والهيمنة الثقافية الإسرائيلية.

بالنسبة إلى مستوى الثقافة الإسرائيلية، أجمع كثيرون من المفكرين والأدباء العرب على أنه لا توجد ثقافة إسرائيلية، بكل ما لهذه الكلمة من معنى، على اعتبار أن المجتمع الاستيطاني الإسرائيلي هو خليط ثقافات، بحكم انتماءاته الأصلية (طبعا باستثناء ذاكرته التاريخية وثقافته الدينية المستندة إلى التوراة) !وثقافة هي على هذه الحال يشك في قدرتها على اختراق ثقافة عريقة كالثقافة العربية ـ الإسلامية، أو أن تؤثر فيها، بل على العكس هو الصحيح. في هذا الصدد، يقول الشاعر الفلسطيني سميح القاسم«الفلسطينيون الذين فضلوا البقاء في الداخل لم تستطع إسرائيل تذويبهم أو تجريدهم من انتمائهم العربي على مدى 16 سنة. (.) أي ثقافة لدى إسرائيل تستطيع أن تهزم ثقافتنا العربية، أن تغزو المتنبي والبحتري وطه حسين المعادلة الثقافية في إسرائيل ضعيفة في مواجهة المعادلة الثقافية العربية. إن 50في المائة من سكان إسرائيل مجموعات بشرية (يقصد عرب ويهود) تنتمي عمليا للحضارة العربية ـ الإسلامية، يسمعون أم كلثوم ووديع الصافي وعبد الوهاب، ويأكلون الطعام العربي، ويتكلمون العربية في بيوتهم. أما النصف الآخر فليس لديهم مقومات ثقافة (...) ٤٦ سنة ونحن معزولون (يقصد فلسطينيي ٤٨) ومحاصرون حصارا مزدوجا. لم يتمكنوا من اختراقنا ثقافيا وحضاريا، ولم يتمكنوا من إلغاء هويتنا العربية والحضارية»[5]. ويؤكد الكثير من الكتاب اليهود والإسرائيليين تأثر المجتمع الإسرائيلي بالعادات والثقافات العربية، ويحذر بعضهم من مغبة الذوبان والتقليد؛ يقول الكاتب اليهودي نعيم قطان: «إسرائيل تعيش في ازدواجية لأنها محاطة بالشرق أرضا وتقاليد وأكلا. العربية (...) ستكون لغة الجميع»[6]. أما الإسرائيلي أيال سيفان فيقول: «إسرائيل قوة اقتصادية وعسكرية، ولكنها كأقلية في الوطن العربي عاجزة عن أن تفرض ثقافتها. (...) في إسرائيل الناس تأكل حمصا وفولا وترقص على أنغام الموسيقى العربية»[7].

أما بالنسبة إلى المخاطر الحقيقية الناجمة عما يمكن تسميته الغزو الثقافي أو الاختراق الثقافي، فهي لا تأتي من الثقافة الإسرائيلية، كما بينا، وإنما تأتي من الثقافة الغربية ـ الأمريكية المهيمنة على العالم، بفعل سيطرة الولايات المتحدى الأمريكية وشركاتها المتعددة الجنسية على شبكات الإعلام في العالم وعلى مختلف وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وبرامج التربية والتعليم والترفيه، وعلى تكنولوجيا الاتصالات؛ من هنا يأتي الحظر، وهنا يجب أن تجري المواجهة. الخطر الحقيقي في تعميم نموذج القيم الثقافية ـ والعادات الاستهلاكية الأمريكية التي تغزو

العالم، كل العالم، ومن ضمنه منطقتنا. بهدف تشويه قيمنا وثقافتنا وحضارتنا، والتماثل مع قيم وثقافة وحضارة الرأسمالية الأمريكية المتوحشة التي تعمل على مخاطبة الغرائز الفردية والأنانية، وتنمي الإحساس بالاغتراب عن العالم والمجتمع، وتعمق السلبية إزاء العمل المنتج، كما تكرس قيم الضياع واللاإنتماء الحضاري تحت شعارات براقة من الحرية الفردية والحداثة والعولمة؛ تلك هي الثقافة التي تبثها الولايات المتحدة والشركات المتعددة الجنسية في العالم لتعميم نموذجها واستلاب الشعوب، تأمينا لاستمرار استغلالها ونهبها. هذه هي الثقافة التفكيكية المحبطة التي يجب مقاومتها ومحاربتها وشحذ القيم الثقافية والموروث الحضاري في مواجهتها، ويعتبر المفكر كريم مروة أن: «الخطر القادم هو من أنماط الحياة ومن الأيديولوجيا التي تبثها الرأسمالية في مواقعها الأساسية، بما في ذلك عبر إسرائيل»[8]. فيما يرى الكاتب الياس خوري أن«الثقافة الإسرائيلية هي جزء من الثقافة الغربية السائدة في العالم. إسرائيل جزء من أمريكا وخطر الهيمنة أمريكي وليس إسرائيليا»[9].

إمكانية التطبيع ومجالاته

ننتقل الآن إلى الحديث عن مدى استعداد الطرفين المعنيين بالتطبيع، فنعرض بإيجاز للموقف العربي، ثم نحاول الاقتراب من الموقف الإسرائيلي.

بالنسبة إلى العرب عموما، هناك التباسات كثيرة، حيرة واستنفار، قبول ورفض، استسلام ومقاومة، لهذا الموقف أسباب عدة أبرزها:

أ ـ اعتقاد العرب أن كل ما يجري الاعداد له من حلول وترتيبات إنما يقوم على أساس اغتصاب قطعة غالية من وطنهم، وفيها القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين؛ وهي صلة الوصل بين شرق الوطن العربي ومغربه، وتشكل علاقة تحد حضارية في تاريخهم المعاصر في مواجهة الغرب، لذلك يصعب على الذاكرة التاريخية التي تستند إلى موروث ديني مقدس، وإلى تاريخ سياسي وحضاري، أن تتكيف مع هذا التزوير الجاري، بل من المستحيل أن تتعايش معه.

ب ـ على افتراض أنه تم تجاوز النقطة الأولى، فإن الترتيبات التي يجري وضعها باسم التسوية والتطبيع الإقليمي والسلام، إنما يجري فرضها في ظل موازين قوى غير مناسبة، وهي ليست لمصلحة العرب، ويجري فرضها من قبل قوى خارجية وليس بناء لتطورات داخلية في المنطقة. لذلك فإن هذه الترتيبات تفتقد إلى الحد الأدنى من الصدقية ومن العدالة وتحيط الشكوك في إمكانية استمرارها.

ج ـ في ظل افتقار الأنظمة لشرعية حقيقية، وبسبب ضعف المشاركة الشعبية وتغييب الحياة الديمقراطية والحقوق السياسية، فإن كل ما ترسمه هذه الأنظمة للمنطقة يشك في شرعيته وخصوصا ما يتعلق منه بمسألة الصراع العربي-الإسرائيلي التي تؤلف جزءاً مهما من الوجدان العربي، ومن الثقافة الدينية والسياسية والتاريخية للعرب، علما أن إسرائيل ليست مستعدة لتقديم تنازلات حقيقية تتعلق بحقوق الشعب العربي الفلسطيني، ومنها حق العودة أو الانسحاب من القدس والأراضي الفلسطينية المحتلة.

د ـ إن الأنظمة التي تسير في هذا الاتجاه، ومن ضمنها الأنظمة المتهافتة على التطبيع، تدرك حجم التعقيدات والمخاطر التي تحيط بهذه العملية التي تمس العديد من المحرمات. وهي تسير في هذا الاتجاه لمسايرة منحى دولي، وللتحلل من الضغط الواقع عليها من الولايات المتحدة الأمريكية، أو من أجل التخلص من بعض الأزمات التي تمر بها، وهذا يفسر الحيرة والتردد والتراجع بين حين وآخر من جانب بعض الأنظمة في تعاملها مع مسيرة التطبيع.

هـ ـ إن ركود البيئة الشعبية والسلبية الظاهرة في التعاطي مع القضايا الكبرى لا تعكسان حقيقة المزاج الشعبي ولا الوعي الشعبي، وهذا الوضع هو نتاج ممارسات سلطوية طويلة، ونتاج عمليات القهر والإفقار للجماهير الشعبية التي يمكن أن تصاب في مرحلة من المراحل، بحالة من الإحباط واليأس واللامبالاة، ولكن هذه الحالة تظل مؤقتة وانتقالية، وهي ليست معيارا لقبول ما يجري، وإنما قد تكون مقدمة للطوفان الذي يمكن أن يجرف كل شيء في طريقه، بما في ذلك الواقع الذي انتج التطبيع والمطبعين.

طبعا، هذا لا يعني أنه لا توجد فئات تراهن على ما يسمى «عوائد السلام»، وعلى ما يمكن أن تجنيه في عصر «الازدهار» المقبل!، وخصوصا أن الحديث يتناول مشاريع كبيرة ومتوسطة وصغيرة، وهناك حصص لرجال الأعمال والمستثمرين بقصد توسيع القاعدة الاجتماعية المؤيدة لعملية التسوية والتطبيع، وإنتاج فئات اجتماعية جديدة تؤمن استمرار هذه العملية، بالتعاون مع رأس المال العالمي والشركات المتعددة الجنسية، ولكن هذه الفئات والمجموعات على فاعليتها وأهميتها في الاقتصاد والمجتمع العربي، لا يمكنها أن تتمثل مصالح المجتمع، ولا تملك التقرير باسمه، وليس لديها أي ضمانات لاستمرار هذه العملية.

بناء على ما تقدم، يمكن القول إن مسألة التطبيع على الجانب العربي، ليست في أحسن أحوالها حتى لو تجاوز العرب وعيهم التاريخي للمشروع الصهيوني ولحقهم في فلسطين فضلا عن أن الموقف الإسرائيلي المتعنت يفقد عملية التسوية صدقيتها لأن عجرفة إسرائيل وصلافتها لجهة فرض شروطها وإرادتها في هذه العملية تؤكد أن لا طريق لتسوية متوازنة تضمن للعرب شيئا من حقوقهم وكرامتهم.

أما من زاوية إسرائيل، فتبدو المسألة محاولة للتكيف مع الواقع الدولي والإقليمي الجديد الناجم عن انهيار الاتحاد السوفيتي وحرب الخليج الثانية، وتاليا الاستفادة من هذه الفرصة التاريخية التي جعلت الولايات المتحدة الأمريكية حليفتها الاستراتيجية وضامنة أمنها وتفوقها والقطب المهيمن على النظام الدولي وعلى الأوضاع في المنطقة العربية. وتعتبر إسرائيل هذه التطورات فرصة لانطلاقة جديدة للمشروع الصهيوني في المجال الرحب للشرق الأوسط، كما ترى فيها مجالا يمكنها من تطوير إمكاناتها واقتصادها، ووسيلة لتعزيز مكانتها الاستراتيجية لدى الولايات المتحدة الأمريكية، من خلال الانخراط في مشروع النظام الشرق أوسطي، باعتباره مشروعا يلبي حاجات الاستراتيجية الأمريكية على المستويين الدولي والإقليمي.

بعد هذه المتغيرات السياسية والتحولات في عناصر امتلاك القوة وأشكال الصراعات لمصلحة تزايد دور العوامل الاقتصادية والتكنولوجية والعلمية، لم تعد مساحة الأرض ولا عدد السكان ولا مدى المدافع، هي التي تحدد مدى الدول وتطورها[10]. وما دام كل شيء مضمونا بالنسبة إلى إسرائيل (الأمن والتفوق) من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، فعلاقات إسرائيل مع جوارها ووضعها الاقتصادي وتفوقها العلمي ـ التكنولوجي هي التي تضمن لها القوة والهيمنة الإقليمية، وليس مساحتها ولا عدد سكانها ولا حجم قوتها العسكرية، ولكن التكيف المطروح هنا لا يتعلق بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة فحسب، بل إن إسرائيل ترفض حتى التزام معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية!

وبفضل الضمانات الأمريكية، وكل هذا التهافت العربي للتطبيع مع إسرائيل، رسمت حدود التكيف الإسرائيلي بالنسبة إلى الأراضي الفلسطينية؛ حتى في ما يتعلق باتفاق أوسلو، فإن إسرائيل تعمل على تجاوز مضامينه المتعلقة ببعض الحقوق الفلسطينية، ووصل بها الأمر إلى الإعلان عن مواصلة الاستيطان ورفض الانسحاب الكامل من الضفة الغربية، فضلا عن استمرار محاولات تهويد القدس، وعلى الرغم من المحددات والقيود التي باتت تخضع لها الدول، وخصوصا البلدان النامية، لدى ممارستها لسلطاتها في نطاق سيادتها الوطنية، لم يصل التكيف الإسرائيلي بعد إلى درجة قبول قيام كيان فلسطيني مستقل، ولم تصل حدود المساومة التاريخية الإسرائيلية إلى حل يقوم على أساس وجود دولتين لشعبين؛ وهذا الموقف ينبع من رؤية إسرائيل لنفسها بوصفها دولة غير عادية، دولة مصطنعة خارج السياق التاريخي والجغرافي والسياسي للمنطقة. من هنا، يبرز أحد أهم شروطها للتسوية المتمثل في تجاوز العناصر الأساسية للحقوق الفلسطينية، وإيجاد صيغ حل وسط إقليمي للقضية الفلسطينية في إطار كونفدرالية (إسرائيلية ـ أردنية ـ فلسطينية) وفي نطاق المشروع الشرق أوسطي.

(يتبع)...

النهضة العربية... دروس وعبر..*

د. أحمد برقاوي**

نسأل في البداية السؤال التالي: كيف نجعل من النهضة العربية وعياً تاريخياً بالراهن المعيش؟

سؤال كهذا يتعلق بالمعنى الذي نخلع على الماضي القريب دون أن يدري التاريخ أن استحضاره من قبلنا سينطوي على هذه الأهمية. ماجرى قد جرى دون أن يعبأ بوعينا اللاحق به. لكن وعينا الذي يصر على أن يكون فاعلاً في حياتنا لايستطيع أن يتجاهل درس التاريخ، أو يقف متجاهلاً التناقض بين الآمال الكبرى ومصيرها الفاجع إذ ذاك يتحول الوعي التاريخي إلى وعي بالحاضر وبالمستقبل.

لكنا أبعد ما نكون عن أن نطمح لإعادة التاريخ، أو بعثه فالتاريخ لايعيد نفسه إطلاقاً، سواء أكان التاريخ بعيداً عنا أو قريباً منا.

وليس يشفع لطموح كهذا أن تكون ظاهر المشكلات التي خفت النهضة لحلها هي ذاتها المشكلات التي نسعى للإجابة عليها.

ولسنا ننفي اطلاقاً تلك الصلة التي تقوم بين مصير النهضة ومصيرنا الراهن، ولكن ننفي أن يكون مصيرنا الراهن رهناً باستعادة عصر مضى. اقول ذلك تحسباً من أن ينجح التاريخ في خداعنا.

إذ يبدو التاريخ هو هو للناظر إليه من الخارج، أو للواقف على سطحه.

فإذا كانت النهضة العربية قد وجدت في العلم والديمقراطية سبيلاً للتقدم التاريخي، فمازال عرب اليوم يرفعون من شأن العلم والديمقراطية كسبيل للخلاص من ورطة التخلف.

وإذا كانت النهضة العربية قد طرحت وحدة العرب - في أشكال متعددة - كضرورة من ضرورات توفير المنعة والقوة فمازالت الوحدة هاجساً أول لعرب اليوم.

وإذا كان فكر النهضة قد عبأ قواه النظرية لتاكيد أن العرب أمة يحق لها تقرير مصيرها بذاتها تحرراً من إكراه الأمم القوية الأخرى، فمازلنا - نحن العرب - نحشد الأدلة التاريخية والجغرافية والروحية للتدليل على ذلك. وإذا كان النزوع الأساسي لرواد النهضة اعادة انتاج اوروبا في الشرق، فمازال نزوع أكثر رواد الفكر العربي يسعون لإنتاج تقدم يصل بنا إلى مستوى تقدم أوروبا.

إن الوعي التاريخي بالنهضة وصلتها بالحاضر ليس هو الوعي بتشابه المشكلات بين عصرين. إنما هو الوعي بالمشكلات في شروطها التاريخية المعيشة. وإلا لكنا أمام إجابات جاهزة سلفاً دون أي اعمال للفكر. إذ يكفي العقل الكسلان أن يردد قول النهضة العربية طالما المشكلات هي ذاتها المشكلات. ودون أن تقدم لنا النهضة أي درس معاصر.

وليس الحنين إلى عصر النهضة بالوعي التاريخي. بل هو وعي مأزوم بالواقع. فالحنين الذي يتنامى لدى البعض إلى عصر الأفغاني ومحمد عبده وفرح أنطون وطه حسين لايختلف عن الحنين إلى عصر ابن الخطاب ومعاوية وهارون الرشيد. وعلى الرغم بانا نفهم الحنين هذا بوصفه تعبيراً عن رفض الواقع السائد، لكنه رفض سلبي للعالم.

مرة أخرى التاريخ لايعيد نفسه إنما نقصد بالوعي التاريخي بالنهضة العربية فهمها وتجاوزها انطلاقاً لامن واقع مختلف فحسب، وإنما من وعي ارقى بالعالم أيضاً. وعي يغتني باستخلاص دروس النهضة العربية وعبرها.

فما النهضة العربية أولاً؟

النهضة - Renaissance مفهوم أوروبي قدّ للدلالة على مرحلة انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى العصر الحديث. مرحلة شهدت من منتصف القرن الرابع عشر وحتى القرن السابع عشر - تطوراً ثقافياً في الفلسفة والعلم والإصلاح الديني.

وتمت فيها اكتشافات جغرافية، وتكونت أسس الدولة القومية ونشأت الطبقة البرجوازية التي انجزت في النهاية ثوراتها المتعددة.

والنهضة في تاريخ أوروبا هي جزء من عصور متتالية كما يقسم الأوروبيون تاريخهم - قديم ووسيط ونهضة وحديث ومعاصر. ولست أحتاج إلى شرح المعروف. غير ان اللافت للنظر أن المؤرخين العرب قد استهواهم هذا التقسيم الأوروبي لتاريخهم فصاروا هم الآخرون يتحدثون عن تاريخ قديم ووسيط اسلامي ونهضة وراهن ضاربين صفحاً عن الحديث أو جاعلين النهضة والتاريخ الحديث امراً واحداً.

وبمعزل عن ابراز تعسف كهذا في المشابهة بين التاريخين الأوروبي والعربي، فإن المشابهة بين النهضتين الأوربية والعربية أمر فيه قولان.

فإذا كانت النهضة الأوروبية تبدأ زمانياً في منتصف القرن الرابع عشر أو في بداية القرن الخامس عشر في إيطاليا ثم في القرن السادس عشر في فرنسا، فإن النهضة العربية بدات في القرن التاسع عشر. اي متاخرة قروناً ثلاثة عن نهضة أوروبا.

لكن المسالة ليست في التاخر الزماني إنما التاخر في الزمان يعني بالنسبة إلى النهضة العربية حالة تاثر بحضارة رأسمالية انتصرت تاريخياً وصارت قادرة على التوسع العالمي بفعل القوتين الإقتصادية - التقنية والعسكرية. وبالتالي من الصعب على أي باحث في النهضة العربية أن يعزل مصيرها عن الرأسمالية العالمية وتاثيرها الكوني. في حين أن النهضة الأوروبية حالة داخلية تمت خارج أية حضارة تمارس تاثيرها العالمي.

والإختلاف الأبرز هنا هو التالي: كانت النهضة الأوروبية إيذاناً بولادة عالم جديد مهد لإنتصار أوروبا عالمياً والذي أخذ في أحد ملامحه صيغة التوسع الإستعماري فيما بعد. في حين أن النهضة العربية كانت ضحية هذا التوسع بالذات، إلى الحد الذي يمكن معه القول أن النهضة العربية هي المرحلة الإنتقالية نحو الخضوع للإستعمار وبدء تاريخ من التبعية للغرب، لانستطيع منها فكاكاً حتى الآن.

ذلك أن النهضة العربية ترافقت مع إيال الدولة العثمانية إلى الإنهيار دون أن تحمل في أحشائها إمكانية النهوض مع البقاء هذا مع تربص الدول الأوروبية بها لإبتلاعها.

فكانت النهضة محاولة في الإصلاح الذي أخذ صيغة الإصلاح الديني والسياسي وأوروبا الدولة.

أجل لقد زعزعت أوروبا الدولة العثمانية. فالتوسع الرأسمالي قد زعزع الإقتصاد التقليدي للدولة، وخلق نوعاً جديداً من الطبقات الإجتماعية صار معها النظام السياسي الشرقي عقبة أمام حريتها. لاسيما وأن بعضها لعب دور الوسيط بين السوق المحلية والسوق الرأسمالية - طبقة التجار. وانفتاح الدولة العثمانية مع سيطرة السوق الرأسمالية العالمية قد أضعف من سيادة الدولة التي حاولت التلاؤم عبر اصلاحات فرضها هذا التوسع. كما أدى هذا الإنفتاح على التعرف المباشر على الثقافة والحياة الأوروبيتين.

فانتشرت الأفكار القومية والعلمانية والدستورية بوصفها رد فعل على دولة استبدادية شرقية.

ظهر التعبير الأوضح على ضعف الدولة العثمانية وضرورة تجاوزها في حركتين: حركة تريد الإحتفاظ بحدود الدولة العثمانية عبر تغيير السلطة العثمانية وهذا ما مثلته حركة محمد علي باشا في مصر.

والحركة القومية العربية الإصلاحية في بلاد الشام التي طرحت بداية فكرة اللامركزية ومن ثم فكرة الإستقلال القومي العربي. ولم تكن حركة محمد في البداية حركة انفصالية، بل حركة تريد نقل مركز الدولة من الأستانة إلى القاهرة. صحيح أن محمد علي تصرف وهو والي على مصر بوصفه ملكاً مستقلاً، لكنه إنما أراد تأسيس مركز جديد في

ولاية راح يحضرها اقتصادياً وعسكرياً وعلمياً وثقافياً لوراثة الدولة الآيلة للإنهيار.

وكانت هزيمة محمد علي الناقوس الذي أعلن بصوت صارخ انهيار الدولة العثمانية، والتي اعتقدت أن هزيمته انتصار لها. صحيح أن الهزيمة تمت بفعل عوامل ثلاثة: الغرب، السلطة العثمانية، وحروب اقطاع بلاد الشام ضده. لكن أوروبا هي العامل الحاسم في هزيمة محمد علي. أي أن أوروبا التي هزمت محمد علي هزمت الدولة العثمانية بنفس الوقت.

كما أن هزيمة محمد علي أسست للدولة المصرية اللاحقة اسباب قيامها فلقد تابع خلفاء محمد علي مسيرة تحديث مصر، ودفعوا النهضة التي بدأها إلى الأمام، إذ وضعوا اسس تطوير العلم المدني. وعاد الطلاب يوفدون إلى أوروبا وخاصة فرنسا لتحصيل العلم، ويعودون متأثرين بنظام حكمها وثقافتها.

واندرجت أوساط من الطبقة الفلاحية المتوسطة المتعلمة في الحياة السياسية والفكرية، وانشئت المعاهد ـ مدرسة الألسن والحقوق والإدارة ومدارس البنات ودار العلوم، ناهيك عن إنشاء دار الكتب والمتاحف والجمعيات، وجرى الإهتمام بالتاريخ والأدب والترجمة، وظهرت الصحف والمجلات وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة في البلاد.

وفي ظل الإحتلال الإنكليزي لمصر ظهرت التيارات الفكرية الكبرى وخاصة الإصلاح الديني الإسلامي.

كل هذا عُبر عنه بما يسمى بالنهضة في مصر.

وعلى خلاف مصر التي أسست الدولة على نحو مبكر، فإن بلاد الشام والعراق، التي عانت من اضطهاد السلطة العثمانية المباشرة، برزت فيها النزعة القومية العربية، ولكن عبر تطور الوعي بالهوية.

فقد انتقل النهضوي العربي من الدفاع عن الهوية العثمانية المرتبطة بالمساواة الكاملة بين الأقوام المندرجة في الدولة إلى الدعوة إلى حكم لامركزي يضمن للعرب حقوقهم المدنية والثقافية والسياسية إلى الإعلان الصريح عن ضرورة استقلال العرب الكامل عن جسد الدولة الإتحادية.

ولقد ترافق الوعي القومي مع دخول الدولة العثمانية في فلك الإقتصاد الرأسمالي وبداية تحلل تشكل الفئات التجارية والصناعية والمثقفة والتي ساعد الغرب وثقافته في تحديد افقها الإيديولوجي الفكري...

مرة اخرى جاء هذا الوعي في مرحلة انحطاط الدولة العثمانية.

لقد أحس عرب الشام والعراق ـ عبر وعي الفئات المثقفة ـ بأنهم يخضعون لسلطة غاشمة تدفعهم إلى حروب هي في الغالب خاسرة فيما الغرب يلتهم أطراف الدولة.

ومن الحكمة أن نقول: أن الحركة القومية النهضوية بكل فئاتها المثقفة والتي عبرت عن مصالح الفئات البرجوازية الجديدة قد وجدت في اوروبا ذروة الكمال الحضاري ـ كما هو الحال في مصر.

ولكن مع فارق هو: أنها رأت في مرحلة لاحقة أن خلاص العرب من حكم الإتحاديين وتحقيق الإستقلال السياسي عن الدولة الإتحادية يمر عبر دعم أوروبا.

أجل لقد عقدت الآمال على القوى الإستعمارية التي ناصبت الدولة العثمانية العداء دون أن يتساءل الكثير منهم: ترى لماذا تناصب أوروبا الدولة العثمانية العداء؟

ودون أن نسهب في رصد التطور التاريخي للنهضة القومية في بلاد الشام والعراق حسبنا القول:

لقد نشأت النهضة القومية العربية وتطورت بفعل عوامل ثلاثة: رفض بنية السلطة العثمانية أولاً وضرورة اصلاحها عبر عملية دستورية تقيم المساواة بين أقوامها.

ومواجهة القومية التركية الطورانية التي استلمت السلطة بعد انقلاب ١٩٠٧-١٩٠٨ وهذا ما ولد فكرة استقلال الأمة في دولة.

تأثير الأفكار الغربية القومية والليبرالية الشديد

في هذا الإطار نما وتطور الحقل النظري لفكر الأمة القومية والدولة الليبرالية العربية. أو الدولة العلمانية العربية. حيث رابطة الأمة هي فوق جميع الروابط وخاصة الرابطة الدينية.

تلك هي أهم معالم النهضة العربية ترى ما هي دلالتها الراهنة؟

ما هي العبر التي يمكن استخلاصها، والدروس التي يمكن أن نتعلمها؟

الدرس الأول:

لقد أثر الغرب على نهضة العرب بل وحدد مصيرها اللاحق بفعل عالمية تأثير العلاقات الرأسمالية وهيمنتها. من هذه الزاوية يمكن القول: أن أية نهضة لاتتم بفعل عوامل داخلية، أي تغيرات عميقة في قلب المجتمع، وإمكانيات قابعة في قلبه، ستظل عرضة لفعل خارجي قادر على إجهاضها حتى ولو كانت هذا الخارج سبباً من أسباب نمو الوعي بها أو بضرورتها.

يعلمنا مصير النهضة العربية، بشكل خاص، كيف يمكن للعامل الخارجي أن يفعل فعله ويغدو قادراً على تحديد مصير الشعوب، إذا كانت الشعوب نفسها خلواً من القوى الداخلية الفاعلة التي تأخذ على عاتقها مهمة إنجاز التقدم التاريخي.

فتجربة محمد علي وتجربة بلاد الشام إنما أجهضت بفعل تحول الإمبريالية إلى استعمار مباشر، في وقت لم تكن مصر أو بلاد الشام مهيأة لمواجهة متكافئة مع هذه الإمبريالية، ناهيك عن أزمة الوعي النهضوي إنما كمنت في أحد جوانبها في انتظار الخلاص من امبريالية توسعية بالأصل. فلم يع النهوض العربي الجانب التوسعي للإمبريالية، بل ولم يسأل: لماذا تناصر الإمبريالية الأوروبية حركات الإستقلال عن الدولة العثمانية أولاً، ولماذا أجهضت الإمبريالية ذاتها حركة محمد علي.

لقد كان الهدف الرئيسي للإمبريالية الأوروبية هو الإجهاز على الدولة العثمانية بتمزيقها سواء عن طريق الحرب أو عن طريق الحروب المحلية، أو عن طريق النزعات القومية وهذا ما حققته الإمبريالية الغربية.

لاشك أن النزعة القومية العربية ليست صورة من صور تآمر الغرب على الدولة العثمانية، وإنما هي أساساً رد فعل على الإضطهاد العثماني ثم الإتحادي.

ولكنها وقعت في شرك فكرة الخلاص من الخارج أيضاً، على أمل ان يغدو الغرب عاملاً مساعداً لتحقيق الأماني القومية.

وهنا يكمن الفرق بين مصير النهضة العربية ومصير النهضة اليابانية.

فكل ما فعلته مصر محمد علي أو اسماعيل فعلته يابان الميجي. ولكن اليابان تركت وشانها في التطور، ولم تخضع للاستعمار الأوروبي، فشكلت مرحلة وسيطة لإنتقال اليابان إلى الرأسمالية، ومن ثم تحولها إلى دولة استعمارية فيما خضعت مصر للإستعمار المباشر الذي وضع حداً للتطور الطبيعي الممكن للمنطقة ككل.

ينتج عن هذا الدرس درس آخر مرتبط بهذا الدرس الأول ألا وهي طبيعة العلاقة مع الغرب، والتي مازالت راهنة.

فتجربة النهضة العربية سواء أكانت في مصر أو في بلاد الشام تجربة رأت أن المثل الأعلى في التقدم التاريخي قائم هناك في الغرب فانتصبت فكرة إعادة انتاج الغرب في العالم العربي آنذاك.

وإعادة انتاج الغرب غير ممكنة إلا بالإستفادة من تقدم الغرب ذاته. في التجربة المصرية بشكل خاص وهي تجربة دولة تكونت داخل الجسد العثماني ـ كان الهم الأساسي أحداث تقدم مادي ـ علمي صناعي لإنجاز تقدم داخلي قادر على الصمود.

لقد أخذت الدولة على عاتقها مهمة الحفاظ على هذا التقدم للحيلولة دون ابتلاع التقدم الأوروبي للدولة الوليدة.

ومحمد علي الذي عاش عصر التنافس الأوروبي على المنطقة أعتقد أنه قادر على اللعب على تناقضات المصالح الأوروبية، والتي هي اساساً تناقضات حول الهيمنة. تناقضات حول اقتسام مناطق النفوذ والتي أرسيت بعد الحرب العالمية الأولى.

وعوّل محمد علي على التحالف مع فرنسا لمواجهة الأطماع البريطانية والوقوف ضد الأستانة. ولكنه لم يحصد دعماً فرنسياً حين تحالفت دول أوروبا مع الأستانة لوضع حد لطموحاته الكبيرة. وانتهت مصر إلى الوقوع تحت الإحتلال الإنكليزي المباشر. وفي بلاد الشام والعراق تم ما تم في مصر ولو بصيغة أخرى.

فالحركة القومية التي ازدهرت ـ زمن الإتحاديين خاصة ـ اعتقدت انها بالتحالف مع

أعداء الدولة العثمانية والإتحادية قادرة على تحقيق انتصار تاريخي.

حتى وصل الأمر بالحركة القومية أن اعترفت بقيادة الشريف حسين للحركة العربية الذي أعلن الحرب على دول المحور إلى جانب الحلفاء. ولكن النتيجة لم تكن إلا سايكس بيكو ووعد بلفور وانجازهما على الأرض.

فالدولة التي وعدت الشريف حسين بمملكة عربية تضم الحجاز وبلاد الشام والعراق يحكمها هو وأولاده. هي التي احتلت العراق والأردن وفلسطين، وهي التي أنشأت الكيان العنصري الصهيوني في قلب الوطن العربي. بل وهي التي ساعدت آل سعود على القضاء على سلطته في الحجاز.

والدولة التي رعت مؤتمر باريس عام ١٩١٣ هي ذاتها التي احتلت سوريا ولبنان، وأنشأت دولة لبنان الكبير مقسمة ما لاينقسم.

إذاً لم يثمر التحالف مع الغرب إلا استعماراً مباشراً ودولة غريبة وتقسيماً تعسفياً.

وبالتالي إن التعويل على عامل خارجي توسعي لحل مشكلات وطنية وقومية أمر في غاية الخطورة، فهو فضلاً عن أنه لايساعد على إنجاز أي هدف وطني على الأرض، فإنه أيضاً يفتح حقل الوطن للهيمنة والتوسع.

تزداد أهمية درس كهذا في إطار الصراع العربي الصهيوني في تعيينه الآن وفي حل مشكلات عربية - عربية.

إذ أن التعويل على الولايات المتحدة الأمريكية من أجل إيجاد تسوية للصراع العربي الصهيوني لاينتج إلا حلاً أمريكياً - إسرائيلياً يحقق مصالح الولايات المتحدة أولاً وأخيراً، ولما كان الحفاظ على إسرائيل قوية وذات رخاء فإنه أي هذا الحل سيبقي اسرائيل قوية وذات رخاء.

ناهيك عن أن تسوية كهذه ستفتح أبواب الوطن العربي على مصاريعها لكل اشكال الهيمنة واستغلال الأمريكيين.

إن التاريخ - من هذه الزاوية يعيد نفسه دون أن نتعلم منه شيئاً.

أما الدرس الثالث والمهم الذي تعلمنا إياه النهضة العربية فهو ذلك المتعلق بعلاقة الفكر بالواقع.

لاشك أن النخبة العربية التي كانت مفعمة بالآمال العريضة لم تكن على وعي كامل بعلاقة آمالها بالواقع.

إنها جميعها تحركت بهاجس تحقيق التقدم التاريخي ولكن هذا التقدم الذي يسير على غرار التقدم الأوروبي.

ولو حللنا سؤال النهضة الذي ذكره الكثيرون - أي السؤال لماذا تقدم الغرب ولماذا تأخر العرب.

سنقف إجمالاً على وعي ملتبس جداً، بكل ماينطوي عليه من صدق طارحيه، وإيمانهم غير المشكوك فيه، وانتمائهم الوطني.

كان أساس السؤال كيف تقدم الغرب، سؤال عن علة تخلف الشرق واسباب تقدمه بآن واحدة. يحمل السؤال جوابه بطريقة جد طريفة لايمكن تقدم الشرق إلا بالسير على طريق تقدم الغرب دون السؤال ما إذا كانت أسباب تقدم الغرب حاضرة كإمكانية في الشرق.

لم يجهد المفكر النهضوي نفسه للبحث عن تاريخية التقدم الغربي، بل اهتدى مباشرة إلى مافي الغرب من تقدم.

فوجد أن الغرب هو حضارة علمية وديمقراطية تمنحه المنعة والقوة. إذاً سبيل تقدم الشرق هو الأخر العلم والديمقراطية (الدستور) واعتقد المثقف العربي النهضوي بمجرد الدعوة إلى العلم والديمقراطية وجعلهما مكونين للوعي وحاضرين في الحياة كافٍ بأن يغدو الشرق غرباً.

لايختلف في ذلك المصلح الديني عن المصلح العلماني إلا بالطريقة التي قدم فيهما كل منهما خطابه.

فالمصلح الديني أراد أن يكتشف أوروبا في النص ذاته، حيث النص دعوة إلى العلم وشورى التي هي ديمقراطية. وبعد تأويل شديد من قبله أسس لخطاب التقدم أوروبياً، في حين أن المصلح القومي اهتدى مباشرة إلى المنبع الأصلي أي أوروبا واستعاد خطابها التنويري العلماني.

والحق أن كلا المصلحين لم يفهما أوروبا على ما هي عليه، أي لم يدركا أن العلم والديمقراطية عناصر القوة الأوروبية هي ثمرة ونتيجة للتقدم التاريخي الذي أنجزته قوى طبقية صاعدة بدأت بالتشكل منذ عصر نهضتها، وليست هي السبب الأساسي، ومع انتصار البرجوازية الساحق تحول العلم إلى قوة منتجة.

في حين اعتقد المصلحان أنهما اكتشفا أوروبا عبر هذين المفهومين واعتقد أنهما بإبرازهما أهمية العلم والديمقراطية قد وضعا أيديهما على سبيل التقدم، لم يسأل النهضوي العربي من هي القوى الإجتماعية الصاعدة التي من شأنها أن تنجز عملية النهوض والإتيان على المجتمع القديم.

ولهذا ظلت أفكارهما دون معادل موضوعي في الواقع، فما إن انهارت الدولة العثمانية حتى تبددت أعلام النهضة.

إن من شأن البحث في علاقة الفكر بالواقع أن تحول بيننا وبين الأتوبيا التي هي في المحصلة الأخيرة احتجاج على العالم وتمرد عليه ولكنها تظل أتوبيا في غياب الشروط الموضوعية التي تخلق القوى الصاعدة.

وفي ظني أن علاقة جديدة بدأت تقوم الآن بين الأفكار والعالم المعيش أي علاقة بين الإمكانية والواقع، العلاقة التي غابت عن عصر النهضة وفكرها، بل قل أن ما طرحه عصر النهضة يجد الآن حضوره بعد مائة وخمسين عاماً.

وآية ذلك أن الوطن العربي اليوم وبعد رحلة طويلة من تجارب العمل والتحديث والتفكير وتطور الطبقات والفئات الإجتماعية التي أصبحت أكثر تبلوراً، وارتفاع مستوى الوعي يجد في أفكار النهضة زاداً نظرياً يحتاج إلى تطوير وإعادة انتاج.

هذا الأمر يطرح علينا مسألة على غاية الأهمية مسألة التراكم والإنقطاع فالتجربة السابقة الإيديولوجية بشكل خاص، كانت تنطلق دائماً من فكرة القطيعة مع السابق، والبدء من نقطة الصفر.

عبر ذهنية لاترى في انجازات الماضي إلا مثالب يجب تجاوزها.

فالناصرية - مثلاً - أقامت قطيعة مع أفكار التنوير النهضوية وأفكار ما بين الحربين وما بعد الحرب العالمية الثانية، أقامت قطيعة مع التجربة السياسية وهي وإن كانت تجربة لها مثالبها، فإنها كانت قابلة للتطوير والإثراء مع الحفاظ على جوهرها الذي هو العلاقات الديمقراطية.

إقامة قطيعة كهذه، إنما تمت بدواعي القضاء على العهد البائد بكل شحمه ولحمه. وهذا ما أفقر التجربة الناصرية.

والحركة القومية العربية الإشتراكية، نظرت إلى ما أنجزته البرجوازية العربية على مستوى الفكر والممارسة على أنه أمر يجب تجاوزه تجاوزاً مطلقاً، فخسرت الجانب التاريخي الإيجابي من هذه التجربة.

ناهيك من أن الماركسية في صيغتها الشيوعية اقامت هي الأخرى قطيعة على مستوى الأفكار، لم تستطع معها أن تغدو ثمرة من ثمرات التطور التاريخي للمنطقة.

وهكذا خسرنا - نحن المعاصرين - فكرة التراكم التاريخي الضرورية لأية محاولة للإرتقاء بالعالم، العالم المادي أو العالم الروحي.

إن مرحلة راهنة من الوعي بدأت تدرك أهمية التراكم التاريخي، وضرورة الإغتناء بالتجربة.

فها نحن نمتح من عصر النهضة للأمة ثلاث أفكار رئيسية: فكرة الإصلاح الديني، فكرة الديمقراطية والعلمانية، وفكرة العقلانية. ولكن لابصورة ميكانيكية نعيد فيها خطابات الأمس بل بإعادة أدراجها في خطاب جديد متلائم مع مرحلة جديدة من العلاقات العالمية والمحلية. في عالم من السياسة جديد ومن الوعي جديد.

إذ نستعيد الإصلاح الديني في مرحلة صعود الإسلام الأصولي السياسي، ونستعيد فكرة الديمقراطية في مرحلة تناقض الدولة مع المجتمع وتعويلها على الإستبداد، ونستعيد فكرة العقلانية في عالم من السياسة والإقتصاد لايأخذ بعين الإعتبار مصالح البشر وهمومهم.

وفكرة الإصلاح والديمقراطية والعلمانية، تجعل كلاً من محمد عبده والكواكبي ولطفي السيد وطه حسين حاضرين ولكن في إهاب جديد من الفكر القومي العربي الديمقراطي، الذي يشق طريقه الآن وبصعوبة بالغة، نرجو أن لايقع في أخطاء الأمس القريب ■■

• مداخلة تم تقديمها في المؤتمر السنوي الثالث للمركز العربي للدراسات الإستراتيجية المنعقد في بيروت يومي ٢٨-١٩٩٨/٥/٢٩ تحت عنوان «نحو مشروع للنهضة العربية في القرن الحادي والعشرين».

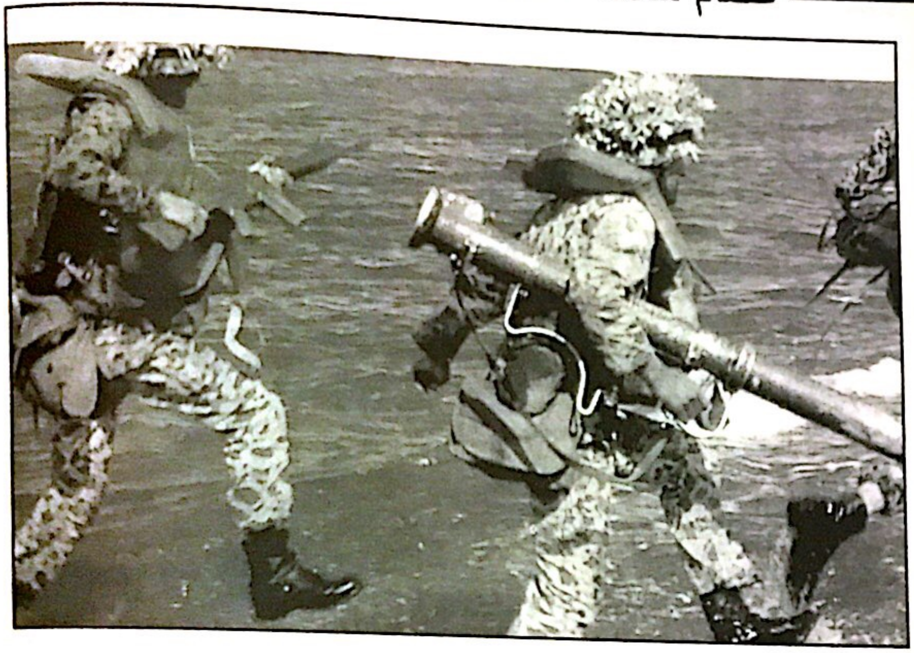
•• أستاذ في قسم الفلسفة جامعة دمشق.

تقرير الخارجية الأمريكية عن «الإرهاب» الدولي

النزعة التسلطية وإزدواجية المعايير

عصام سلامة

تنبع الإدارة الأمريكية عادة اسلوب الغطرسة في تعاطيها مع المشكلات الدولية تحت دعوى الدفاع عن «حقوق الإنسان» وتتغنى ليل نهار عبر وسائل اعلامها المغرضة بعبارات الحرية والديمقراطية والعالم الحر، كما ونصّبت من نفسها حامية للبشرية جمعاء وذلك من خلال تزعمها لحملة محاربة «الإرهاب» الدولي.. هي ذاتها وليس غيرها التي تقوم بقلب المفاهيم وتزوير الحقائق وتفسر الأعراف والقوانين الدولية على هواها خدمة لمصالحها الإمبريالية بهدف بسط هيمنتها على العالم.



ضمن هذا السياق.. وجرياً على عادتها قامت وزارة الخارجية الأمريكية بنشر تقريرها السنوي عن «الإرهاب» الدولي في أواخر شهر نيسان من هذا العام، وقد ورد ذلك في معظم الصحف اليومية ونشرت صحيفة «الشرق الأوسط» مقتطفات من هذا التقرير في عددها رقم ٧٠٩٤ الصادر بتاريخ ١/ ١٩٩٨/٥، ولمعرفة وتفنيد هذه الإدعاءات نورد هنا أهم ما جاء في هذا التقرير:

«رغم أن عدد الهجمات والأعمال الإرهابية التي وقعت العام الماضي كانت أقل من العام الأسبق حيث شهد العام الماضي وقوع ٣٠٤ أنواع من أعمال الإرهاب في العالم، وأن هذا الرقم واحد من أقل الأرقام منذ العام ١٩٧١».

ويذكر أنه لم يطرأ أي تغيير على اسماء الدول الواردة في التقرير الأمريكي، وهذه الدول هي: «كوبا وايران والعراق وليبيا وكوريا الشمالية والسودان وسوريا».

واشار التقرير أيضاً إلى «اللائحة التي أقرتها وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت في نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي وتضم (٣٠) منظمة وجماعة تعتبر إرهابية».

ومن أبرز المنظمات والجماعات ذات العلاقة بمنطقة الشرق الأوسط التي تضمنها التقرير ويصنفها على أنها «إرهابية» هي:

جماعة «أبو نضال» وجماعة «أبو سياف» والجماعة الإسلامية المسلحة (في الجزائر) والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين و «حماس» و «حركة الأنصار» و «حزب الله» و«الجماعة الإسلامية» و «الجيش الأحمر» الياباني و«الجهاد» و «الخمير الحمر» و «حزب العمال الكردستاني» و «مجاهدي خلق» الإيرانية المعارضة وحركة «الجهاد الفلسطيني» و «جبهة التحرير الفلسطينية» و «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» و«الجبهة الشعبية» القيادة العامة وحركة «كاخ» الإسرائيلية.

يتضح من هذه المقتطفات بالمحصلة العامة أن الخارجية الأمريكية أبقت في تقريرها السنوي لهذا العام على (٧) دول ترعى «الإرهاب» من بينها (٤) دول عربية بالإضافة إلى (٣٠) منظمة تعتبرها «إرهابية»، ولمعرفة الدوافع والأسباب الحقيقية التي تقف خلف هذا الإجراء المتعسف والظالم الذي اتخذته الخارجية الأمريكية مؤخراً بحق هذه الدول والجماعات والتي تصفها بـ «الإرهابية»، لابد لنا هنا من توضيح ذلك على الشكل التالي:

أولاً: إن مايعنينا بشكل خاص الدول العربية المذكورة بالتقرير وهي: العراق وسوريا وليبيا والسودان بالإضافة إلى ايران باعتبارها من دول منطقة الشرق الأوسط.

دأبت الحكومة الأمريكية على استغلال مفهوم «الإرهاب» الدولي أبشع استغلال، وتحوله إلى شماعة تعلق عليها أهدافها المشبوهة خدمة لمصالحها الإمبريالية الضيقة، كما أنه لايوجد معيار ثابت لمفهوم «الإرهاب» في السياسة الأمريكية.. فهي تستخدم هذا المفهوم كسلاح بيدها تشهره في وجه كل من يقف ضد مصالحها، أو يكون في حالة عداء معها في المكان والزمان الذي تريده.. والدليل على ذلك .. أن العراق لم يكن مدرجاً على لائحة «الإرهاب» الدولي في تقرير الإدارة الأمريكية لعام ١٩٨٩م، أي قبل حرب الخليج، حيث كان جل اهتمام الحكومة الأمريكية آنذاك منصباً ضد الثورة الإسلامية الإيرانية التي أطاحت بنظام الشاه العميل، وليس خافياً على أحد حالة العداء القائمة حالياً بين العراق والحكومة الأمريكية وخاصة بعد الأزمة الأخيرة التي نشبت بينهما والمتعلقة بموضوع التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل المزعومة والتي لاتزال ذيولها لم تنتهِ بعد وهذا هو السبب الرئيسي وراء إبقاء العراق على قائمة «الإرهاب» لهذا العام.

ولتأكيد استغلال الإدارة الأمريكية لمفهوم «الإرهاب» حسبما تقتضيه مصالحها لجأت إلى ابقاء سوريا ضمن قائمة «الإرهاب» لهذا العام

أيضاً رغم عدم وجود أي دليل على ضلوع سوريا في أعمال إرهابية، ولكن تقرير الخارجية الأمريكية قد أشار إلى جماعات يصفها بـ «الإرهابية» وتتخذ من سوريا مقراً لها (المقصود هنا التنظيمات الوطنية الفلسطينية) بشكل اساسي، هذا بالإضافة إلى موقف سوريا الداعم لنضال الشعب الفلسطيني وللبنان في موضوع الإنسحاب الإسرائيلي الغير مشروط من جنوب لبنان المحتل وكذلك نظراً للعلاقة الجيدة بين سوريا وإيران والتي تعتبرها الإدارة الأمريكية من أكثر الدول الراعية «للإرهاب» في منطقة الشرق الأوسط، علاوة على موقف سوريا الصلب من موضوع التسوية وتمسكها بقرارات الشرعية الدولية، وهو مايفسر بالتالي الهدف من إبقاء سوريا على قائمة «الإرهاب».

أما بالنسبة إلى ليبيا فإن حادثة لوكربي المعروفة والتي وقعت عام ١٩٨٨م، أدت إلى خلق أزمة حادة بين الإدارة الأمريكية وليبيا والتي لاتزال تغطي بظلالها الموقف الأمريكي في إبقاء ليبيا على قائمة «الإرهاب» رغم أن محكمة العدل الدولية والمختصة بهذا الموضوع قد برأت ساحة ليبيا من أزمة لوكربي في الفترة الأخيرة.

أما السودان فقد جدد تقرير الخارجية الأمريكية اتهامه لها بمواصلة دعم «الإرهاب» وتوفيره المأوى ومعسكرات التدريب لجماعات ومنظمات «إرهابية»، «المقصود هنا الجماعات الدينية الأصولية بشكل أساسي»، وكما هو معروف أيضاً فإن السلطة الحالية في السودان ذات طابع ديني أوتوقراطي وتتخذ سياسة وطنية معادية للمصالح الأمريكية بصفة عامة هذا بالإضافة إلى مشكلة جنوب السودان وتأثيراتها المتشعبة والمتداخلة على الصعيد العربي والأفريقي.

وعندما كانت هذه القوى الدينية الأصولية في فترات سابقة في حالة مهادنة ومصالحة مع السياسة الأمريكية الإمبريالية.. لم تكن هذه القوى مدرجة على قائمة «الإرهاب» الدولي في ذلك الحين.. والذي يعني بأن المفهوم الأمريكي «للإرهاب» متغير وليس ثابتاً حسب ماتراه الإدارة الأمريكية خدمة لمصالحها وسياستها الخارجية وبالتالي لايوجد لديها أية ضوابط أو معايير تحدد هذا المفهوم بشكل واضح ودقيق.

وما ينطبق على السودان ينطبقُ على إيران إلى حدٍ ما بصفة عامة من الناحية الأيديولوجية هذا بالإضافة إلى تمايز إيران في جوانب أخرى عديدة تعتبر في نظر الإدارة الأمريكية أكثر خطورة وأهمية سواء من حيث الموقع أو التأثير أو العلاقات.

ثانياً: وبالنسبة إلى ماجاء في التقرير بخصوص اللائحة التي أقرتها وزيرة الخارجية الأمريكية والتي تضم (٣٠) منظمة وجماعة تصفها بـ «الإرهابية».

نجد أن من بين هذه الجماعات والمنظمات المذكورة (٧) منظمات وطنية فلسطينية على الأقل تشكل تقريباً ربع اللائحة من حيث العدد، والذي يعني أيضاً بأن الإدارة الأمريكية تناصب العداء لمجمل حركة التحرر الوطني الفلسطيني.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذه التنظيمات هي بالأساس تنظيمات وطنية تقدمية لها جذورها العميقة والتاريخية والأصيلة والمتأصلة في أوساط جماهير الشعب الفلسطيني والأمة العربية.

إن هذا المنطق المغلوط والمعكوس لمفهوم الإرهاب حسب التصور الأمريكي يقوم أساساً على قاعدة من الخلط المقصود بين مفهومي «الإرهاب» والكفاح الوطني التحرري للشعوب.

لهذا فإن مفهوم «الإرهاب» يتناقض جذرياً مع موضوع الكفاح الوطني والقومي التحرري للشعوب المضطهدة باعتباره حق مكفول نصّت عليه الشرعية الدولية والقانون الدولي وهو يندرج في إطار حقوق الدفاع عن الكيانات الوطنية والقومية ضد الإستعمار بكل أشكاله الذي هو بالأساس وليس غيره مصدر الإرهاب الدولي المنظم.

وعدم تطرق تقرير الخارجية الأمريكية إلى الإرهاب الصهيوني... (باستثناء عصابة كاخ العنصرية) فقط ليس أكثر من محاولة لذر الرماد في العيون.. وهذا يؤكد بما لايدع مجالاً للشك بأن الإدارة الأمريكية لاتزال تكيل الأمور بمكيالين.. ليس هذا فحسب، بل إنها في حقيقة الأمر تتستر على الإرهاب الصهيوني المنظم.

والعالم بأسره يعرف أن أكثر الجرائم بشاعة بحق البشرية جمعاء هي التي ارتكبت بأيدٍ أمريكية وبتخطيط مسبق من ساسة البيت الأبيض منذ إلقاء القنابل الذرية على هيروشيما وناغازاكي عام ١٩٤٥م، إلى شن حرب ظالمة ضد كوريا الشمالية إلى التدخل الأمريكي البشع في فيتنام واستخدام كل أنواع الأسلحة المحرمة دولياً إلى اجتياح غرينادا وبنما وفرض الحصار الظالم ضد كوبا وأخيراً وليس آخراً حربها المدمرة والمجنونة ضد الشعب العراقي.

لعل في ذلك كله مايؤكد زيف الإدعاءات الأمريكية المضللة في موضوع مكافحة «الإرهاب» الدولي، والذي هو في المحصلة النهائية ليس سوى نزعة تسلطية عنجهية تحاول الإدارة الأمريكية أن تفرضها على العالم بالقوة من خلال اتباع اسلوبها المجحف والمعهود بازدواجية المعايير وذلك خدمة لمصالحها الأنانية الضيقة ■■

ندوة فكرية للحزب الشيوعي السوري بمناسبة مرور ١٥٠ عاماً على صدور البيان الشيوعي

بمناسبة مرور ١٥٠ عاماً على صدور البيان الشيوعي أقامت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري ندوة فكرية يومي ٢٥-٢٦ حزيران ١٩٩٨ في قاعة الاتحاد العام لنقابات العمال بدمشق.

تحدث في الندوة الرفيقة وصال فرحة بكداش الأمين العام للحزب الشيوعي السوري والدكتور - قدري جميل وجبران الجابر عضوا المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوري.

كما تحدث في الندوة كلّ من:

د. ماهر الطاهر

د. أحمد برقاوي

د. عمار بكداش

الرفيق فهد سليمان

الأستاذ محمد الجندي

الرفيق صالح بوظان

وبعد ذلك جرت مناقشة عامة للمداخلات التي ألقيت، واختتمت الرفيقة وصال فرحة بكداش الندوة بكلمة أكدت فيها ان الاشتراكية ستبقى خيار المؤمنين بقضايا الحق والعدل والحرية في العالم■■



ليبيا تحتفل بالذكرى العاشرة لإعلان الوثيقة الخضراء

بمناسبة الاحتفال بالذكرى العاشرة على اعلان الوثيقة الخضراء تحدث الأخ العقيد / معمر القذافي قائد الثورة الليبية عن القرار الذي اتخذته القمة الافريقية الرابعة والثلاثون في واجادوجو مؤكداً رفض افريقيا استمرار الامتثال لقراري مجلس الأمن ٧٤٧/١٩٩٢، ٨٨٣/١٩٩٣م وذلك اعتباراً من شهر أيلول القادم ١٩٩٨م ومطالبتها لمجلس الأمن الرفع الفوري للاجراءات الظالمة المفروضة على ليبيا إلى أن تصدر محكمة العدل الدولية حكمها في ما يسمى بقضية لوكربي.

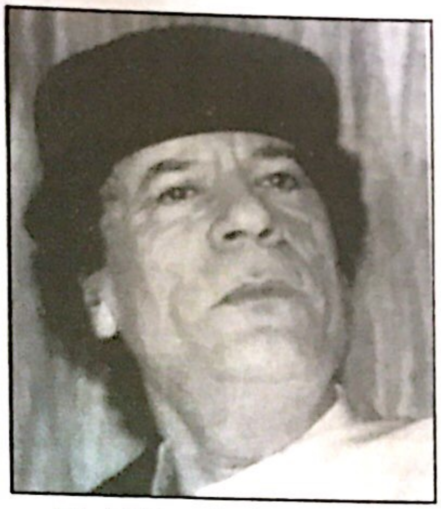
وأضاف الأخ القائد أن هذا القرار هو بمثابة يقظة لضمير العالم وصحوة ضد الطغيان الأمريكي، موضحاً أن هذا القرار هو دفاع عن الأمم المتحدة وعن ميثاقها وعن الشرعية الدولية، ومؤكداً بأن قرار القمة الافريقية هو دفاع عن الأمم المتحدة وعن مجلس الأمن.

وأكد بأن هذا القرار ليس بشرى لليبيين وحدهم إنما هو بشرى لكل شعوب العالم وحول وصف أمريكا لهذا القرار بأنه قرار غير مسؤول، أكد الأخ العقيد أن هذا يكشف مجدداً عن السياسة الأمريكية العنصرية القبيحة.

وأضاف: لا يمكننا الحديث عن حقوق الانسان ونحن في ظل جبروت أمريكا ولا يمكن الحديث عن السلام أو الاقتصاد أو التجارة في ظل الأساطيل والترسانة النووية والجرثومية والكيماوية والاختراقات المستمرة بكل استخفاف لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها.

حديث قائد الثورة الليبية مع الفعاليات الشعبية والسياسية في المغرب العربي

التقى الأخ العقيد / معمر القذافي في العاشر من شهر حزيران الماضي بالفعاليات الشعبية والسياسية من تنظيمات وأحزاب باتحاد المغرب العربي بمناسبة افتتاح ملتقاها العام الأول بطرابلس بالجماهيرية الليبية حيث أكد أنه يعول كثيراً على القوى الشعبية والمواطن العربي والشارع العربي في مواجهة التحديات التي تتعرض لها الأمة العربية. وثمّن عالياً القرار الذي اتخذه مؤتمر القمة الافريقي بواجادوجو ورفض فيه الامتثال لقرارات ما يسمى بمجلس الأمن اعتباراً من شهر أيلول القادم إذا لم تستجب أمريكا وبريطانيا للمقترحات الرامية إلى حل ما يسمى بقضية لوكربي.



وعبّر عن أمله بأن يقدم هذا الزخم الشعبي من الفعاليات باتحاد المغرب العربي بالعمل على اخراج هذا الاتحاد من جموده والدفع به إلى تحقيق أهدافه القومية.

وأضاف قائلاً: إن الشعب الليبي الذي تمكن من طرد القوات الأجنبية زاد من تصليب إرادته وأنه يبني بثورته قوته الذاتية ويزداد صلابة في المواجهة وانتصاراً في العطاء الانساني، وهو بذلك يكسب كل يوم التأييد والمساندة من كل شعوب العالم لأنه شعب حر يتخذ مواقفه ويحدد اختياراته حسب إرادته ويرفض التبعية وسياسة الابتزاز ويحقق كل يوم انتصاراً جديداً ضد الغطرسة الأمريكية ويحظى كفاحه العادل بدعم العالم ومنظماته الاقليمية والدولية ومنها الجامعة العربية، ومنظمة الوحدة الافريقية ومنظمة المؤتمر الاسلامي وحركة عدم الانحياز، وقد تعززت هذه الانتصارات بالحكم الذي أصدرته محكمة العدل الدولية باختصاصها في النظر في قضية لوكربي.

قرار بشأن الأزمة بين الجماهيرية الليبية وكل من الولايات المتحدة وبريطانيا

إن مؤتمر رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية الذي انعقد في بوركينا فاسو من تاريخ ٦-٨/ حزيران ١٩٩٨م. قرر التالي:

١- يدعو مجلس الأمن إلى اتخاذ قرار برفع العقوبات المفروضة على ليبيا بموجب قراري مجلس الأمن رقم ٧٤٨/١٩٩٢ ورقم ٨٨٣/ ١٩٩٣م إلى أن يصدر حكم محكمة العدل الدولية.

٢- عدم الاستمرار في الامتثال للعقوبات المنصوص عليها في قرار مجلس الأمن ٧٤٨/ ١٩٩٢ ورقم ٨٨٣/١٩٩٣م بحلول شهر أيلول ١٩٩٨م في حالة عدم استجابة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لمقترح إجراء محاكمة للمشتبه فيهما في بلد ثالث محايد بحلول موعد مراجعة العقوبات في يوليو ١٩٩٨ وذلك تأسيساً على حكم محكمة العدل الدولية، ومخالفة القرارين المذكورين للمواد ٢٧ فقرة (٣) و(٣٣) و(٣٦) فقرة (٣) من ميثاق الأمم المتحدة، ولما سببته العقوبات من أضرار بشرية واقتصادية جسيمة بالشعب الليبي والكثير من الشعوب الافريقية.

٣- إن منظمة الوحدة الافريقية وأعضائها ولأسباب أخلاقية ودينية وبأثر فوري لن يحترموا منذ الآن العقوبات المفروضة على ليبيا.

٤- يدعو اللجنة الوزارية الأفريقية إلى الاستمرار في أداء مهمتها.

٥- يكلف الأمين العام بمتابعة تنفيذ القرار وتقديم تقرير بشأنه إلى الدورة القادمة.

بيان صادر عن اللجنة الشعبية للاتصال الخارجي والتعاون الدولي

أعربت اللجنة الشعبية العامة للاتصال الخارجي والتعاون الدولي عن استهجانها لما أدلى به المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية من تصريحات تحمل الاساءة والتطاول على القادة الأفارقة ومنظمة الوحدة الافريقية، واصفاً قرارها بأنه قرار قصير النظر وغير مسؤول.

إن اللجنة الشعبية العامة للاتصال الخارجي والتعاون الدولي تندد بهذا الموقف الأمريكي غير المسؤول، وتفضح المدى الذي وصلت إليه صفاقة المتحدث باسم الخارجية الأمريكية الذي يستهين بإرادة دول وقادة القارة الأفريقية.

وأضاف البيان: إن إصرار الولايات المتحدة على مواقفها التي تتحدى بها إرادة العالم، إنما يؤكد المنهج الأمريكي القائم على الاستعلاء.

وأكد البيان: ان مواقف الدول الافريقية الشجاعة التي عبّر عنها قادة ورؤساء منظمة الوحدة الافريقية في قمتهم الأخيرة هي تعبير عن رفضهم لسياسات فرض العقوبات القسرية على الشعوب■■

نشاطات في أستراليا بمناسبة الذكرى الخمسين للنكبة

١ـ في الخامس عشر من أيار أقيمت ندوة كبيرة ضمت الأساتذة أحمد الشبول المحاضر في جامعة سيدني والدكتور سليم طماري من جامعة بيرزيت في اتصال مباشر عبر محطة الأقمار الإصطناعية. إضافة إلى الدكتورين كلايف كستلر وافرام نمني من جامعة نيوساوث ويلز. والندوة تمت في جامعة تكنولوجي سيدني UTS. وكذلك الدكتور مايكل همفري.

٢ـ في السادس عشر من أيار أقيمت ليلة الشموع الفلسطينية في وسط حديقة مدينة سيدني «مركز القطارات والباصات في المدينة» حيث رمزت كل شمعة لقرية فلسطينية في الداخل.

٣ـ في نفس اليوم أقيم في جامعة UTS عرض الأفلام الفلسطينية التي تظهر معاناة الشعب الفلسطيني وتمسكه بأرضه والوجه القانوني والحقوقي لعدالة القضية.

٤ـ وكان الختام في المهرجان المركزي الكبير الذي ضم حشداً غير متوقع بحضور وزراء ونواب استراليين:

١ـ الوزير في حكومة المعارضة لوري فيرغسون (كلمة)

٢ـ النائب طوني سيتوارت ممثلاً رئيس حكومة الولاية (كلمة)

٣ـ الإمام تاج الدين الهلالي مفتي استراليا ونيوزيلاندا.

٤ـ المطران جبران الرملاوي راعي الكنيسة الأرثوذكسية في استراليا ونيوزيلاندا.

٥ـ كلمة المؤسسات العربية الدكتور مصطفى علم الدين رئيس مجلس الجالية اللبنانية.

٦ـ كلمة الصحافة العربية المهجرية الأستاذ بطرس عنداري أحد مؤسسي جمعية اصدقاء فلسطين منذ حوالي الربع قرن.

٧ كلمة الجامعة الثقافية الفلسطينية المهندس عبد الرزاق عباس نائب رئيس الجامعة.

عريف الحفل المهندس حسن غنام

لايعرف الجيش الشعبي الكوري سوى النصر حليفاً له

جاءنا من الرفاق في سفارة كوريا الديمقراطية في دمشق هذه المادة بمناسبة الذكرى ٤٥ للإنتصار في الحرب الكورية.

في السابع والعشرين من تموز يحتفل الشعب الكوري بالذكرى الخامسة والأربعين للإنتصار في الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣). كان هذا الإنتصار حدثاً تاريخياً، فقد دافع الشعب الكوري البطل عن سيادته وكرامته ودحر قوى التحالف الإمبريالي الغازية.

شنت الولايات المتحدة الحرب على جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية التي تأسست قبل سنتين فقط، وزجت فيها بأكثر من مليوني جندي، بما في ذلك الجيش الشعبي الكوري الجنوبي العميل، والقوات المسلحة في ١٥ دولة تابعة لها، إضافة إلى جيشها المتبجح والمتباهي بأنه «الأقوى» في العالم، وعبأت ٧٣ مليون طن من العدد الحربية. وقد عبر العديد من الناس في العالم عن قلقهم، معتقدين أن مصير كوريا حديثة الإستقلال كان عرضة للخطر.

وعلى النقيض من تنبؤاتهم وتكهناتهم، منيت قوى التحالف الإمبريالي، وعلى رأسها الولايات المتحدة بالهزيمة النكراء، إذ أنها فقدت في هذه الحرب أكثر من ١٥٦٧٠٠٠ جندي، وأكثر من ١٢٢٠٠ طائرة، وكمية هائلة من العدد الحربية والتقنية الأخرى، الأمر الذي دفعها إلى التوقيع على اتفاقيةالهدنة في السابع والعشرين من تموز عام ١٩٥٣، ووضعت الحرب أوزارها بانتصار الشعب الكوري العظيم وغدا الجيش الشعبي الكوري جيشاً مقتدراً لايقهر.

إن انتصاره في هذه الحرب قبل 45 عاماً لم يكن مأثورته الوحيدة، فقد مجد مسيرته كلها بالإنتصارات الباهرة.

بدأ تاريخه الظافر مع انطلاقة الجيش الثوري الشعبي الكوري، الذي تاسس في الخامس والعشرين من نيسان عام ١٩٣٢، في خضم النضال من أجل التحرير الوطني، وتصدى للإمبريالية اليابانية العاتية، التي كانت تحلم «بالسيطرة على العالم» بالتواطؤ مع هتلر في ألمانيا، فقهرها وأحرز انتصاراً عظيماً بتحقيق استعادة الوطن في الخامس عشر من آب عام ١٩٤٥.

بمواصلة هذه التقاليد المجيدة، حقق الجيش الشعبي الكوري الإنتصار التاريخي في الخمسينات وسجل انتصاراً تلو الانتصار في كل حوليات التاريخ.

هكذا أحبط كل تحركات العدو الإستفزازية ودافع عن امن البلاد والشعب بصورة مأمونة.

إن حادثة «بويبلو» في كانون الثاني عام ١٩٦٨ هي شاهد دامغ على ذلك. حينما أسر الجيش الشعبي الكوري سفينة التجسس المسلحة الأمريكية «بويبلو»، التي انتهكت مياهه الإقليمية، نقلت الولايات المتحدة قوات ضاربة، وعلى رأسها حاملة الطائرات إلى تخوم المياه الإقليمية الكورية، وتشدقت «بالإنتقام العسكري»، فكأنها «اللص يرفع يده ليضرب».



وقد واجهها الجيش الشعبي الكوري باعلانه العزم على الصمود والرد على «الإنتقام بالإنتقام»، وعلى «الحرب الشاملة بالحرب الشاملة». واضطرت الولايات المتحدة إلى التراجع في نهاية الأمر، واعتذرت لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية بكل مهابة وجدية عن جرائمها بعد أن خارت عزيمتها.

وثمة حالات عديدة مماثلة نذكر منها حادثة الطائرة «ى س ـ ١٢١»، في نيسان عام ١٩٦٩ ، وحادثة بانمونزوم في آب عام ١٩٧٦، وحادثة اسقاط الحوامة الأمريكية في كانون الأول عام ١٩٩٤، ويشهد التاريخ على أن الجيش الشعبي الكوري لايتسامح أبداً مع من يمسون سيادته وكرامته، وأنه ينتصر دائماً في نضاله ضد العدو.

أغنى رجال الجيش الشعبي الكوري سجل انتصارات هذا الجيش الجبار، ليس بكونهم مدافعين عن سيادة البلاد وأمن الشعب فحسب، بل وبصفتهم خالقين لإزدهار البلاد، وسعادة الشعب.

فقد بنوا مترو بيونغ يانغ المشهور عالمياً في السبعينات، ومثله في الشهرة، هويس البحر الغربي في الثمانينات، ومحطة آنبيون الكهربائية للشباب، التي تعد «معجزة التسعينات في كوريا».

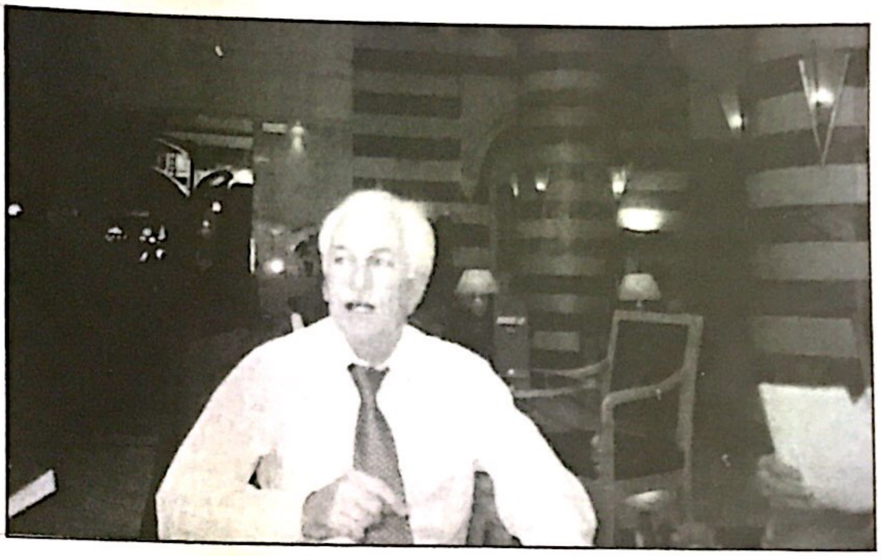
إن صروح العصر التذكارية هذه، المشيدة بأعداد لاتحصى في البلاد قد اقترنت بمآثر رجال الجيش وبعمل الجنود البناة في كل مواقع البناء الصعبة والشاقة. يمكن القول أن هؤلاء الجنود الذين يشقون الطريق في طليعة مسيرة الصمود الإشتراكية الحالية، تحت شعار «لنتول الدفاع عن الوطن والبناء الإشتراكي على حد سواء» هم حقاً رمز لإنتصار الإشتراكية.

إن كوريا الإشتراكية التي يدافع عنها الجيش الشعبي الكوري المظفر هي حقاً بلد لايقهر ولايعرف المستحيل.

السيد حليم غارسيا، رئيس برلمان سابق في الأورغواي ونائب حالي لـ «الهدف»:

حكومة الأورغواي الحالية تتعاطف بشكل واضح مع إسرائيل

أجرى الحوار: عصام سلامة ترجمة: توفيق الفقيه



عندما نتناول موضوع أمريكا اللاتينية نشعر بالكثير من المتعة نظراً لنكهتها الخاصة وطابعها المميز، حيث يتبادر إلى الذهن وللوهلة الأولى شريط من الذكريات المفعمة بالدفء والحنين لتلك المواقف الإنسانية النبيلة والأسماء اللامعة في سماء تلك البقعة النائية من العالم، والتي كان ولايزال لها صدى واسع النطاق على المستوى العالمي.. أمثال: الشاعر العظيم والفذ لوركا والذي يتصادف هذه الأيام الذكرى المئوية الأولى على ميلاده حيث تذكرنا بأشعاره الخالدة التي تصدح في أرجاء المعمورة. وكذلك المناضل الأممي تشي جيفارا والذي لاتزال ذكراه حية حتى يومنا الحاضر في قلوب ملايين المناضلين في شتى أصقاع الأرض.. والمناضل الأممي فيدل كاسترو زعيم كوبا جزيرة الحرية الشوكة المستعصية في حلق الإمبريالية وسلفادور اللندي.. وغيرهم الكثير من المناضلين الشرفاء في بوليفيا وتشيلي والأورغواي.

يقوم اقتصاد الاورغواي على تربية الماشية وزراعة الحبوب والكرمة وصناعة النسيج وصيد الأسماك وتعاني من أزمة اقتصادية خانقة نتيجة تراكم الديون الخارجية وارتفاع معدل البطالة الذي يصل إلى ١٥٪، ويوجد حوالي مليونين ونصف المليون يعيشون تحت خط الفقر المدقع.

ونظراً لخصوصية العلاقة بين دول أمريكا اللاتينية والقضية الفلسطينية ونتيجة لتزايد النشاط الصهيوني الملحوظ في الآونة الأخيرة في الأورغواي.. وضمن هذا السياق التقت مجلة «الهدف» مع السيد/ حليم غارسيا أثناء تواجده في دمشق، وكان لنا معه هذا الحوار:

□ في البداية نود تعريف القارئ على السيد حليم غارسيا.

■■ إنه لعامل مسرة كبير بالنسبة لي أن التقي بكم، في هذا اللقاء أود أن اقول بأنني محام ومشرّع في الأورغواي.. وأنا الآن أمارس الدور الإنتخابي الثالث، أنتخب للمرة الثالثة.. ودورتي الإنتخابية الحالية تنتهي عام (٢٠٠٠).

عمري ٥٨ عاماً، كنت من النشطاء في الحزب الوطني الراديكالي، وفي عهد الإستقلال كان هو حزب الأمة، وأهالي الأورغواي الذين حققوا الإستقلال عملوا على تأسيس هذا الحزب الوطني نسبة إلى الوطن.

انبثق الحزب الوطني الذي تأسس عام ١٩٢٥م، وهو من أقدم الأحزاب في الأورغواي واستمر منذ ذلك التاريخ حتى الآن، وحزبنا هو صانع الثورات في بلادنا وحتى الثورتان المهمتان، كان حزبنا هو الأساس فيهما، الثورة الأولى عام ١٩٠٤م والثورة الثانية عام ١٩٧٩م، والثورتان وبشكل خاص الأخرى منهما كانت بقيادة عضو من حزبنا اسمه سرابيا.

وهاتان الثورتان هما اللتان عززتا الإستقرار في البلاد، أما بالنسبة للجيش فلم يكن جيشاً وطنياً بالمعنى الدقيق، فالجيش كان جيشاً لحزب كولارادو الذي كان مهيمناً على البلاد.. إذاً فالإستقلال السياسي كان مهمة صعبة علينا.. بكل أسى نقول ذلك لأن حزب كولارادو كان يستغل الجيش والشرطة وكل قوى الأمن لمصلحته الخاصة ولم يكن يستعمل هذه القوى للصالح العام. اليوم نحن نتمتع بالحرية السياسية والتعبير عن الرأي وذلك بفضل النضال الطويل الذي خاضه هذا الشعب المناضل، والمكتسبات التي حصلنا عليها بفضل الإنتخابات التي تحققت أخيراً.. وصل حزبنا إلى السلطة.

والحزب الذي أنتمي إليه تولى السلطة عدة مرات، وقد فزت بالنيابة (٣) مرات واستلمت رئاسة مجلس الشعب مرة واحدة في

عهد الحكومة السابقة ولسوء الحظ خسر حزبنا الإنتخابات في الدورة الأخيرة، وحزبنا سوف يعود للحكم في الإنتخابات القادمة حسب تقديراتنا. حزبنا الذي أنتمي إليه يمكن وصفه بالتيار الوسط..

□ما هي رؤيتكم للوضع العربي بصورة عامة وخاصة الوضع الفلسطيني في ظل تعنت إسرائيل وتنكرها للشرعية الدولية.. ونظرتكم بشكل عام للقضية الفلسطينية؟

■■أنا منذ البداية كنت نصيراً للإحترام التام والطلق لحقوق الشعب الفلسطيني، فالتاريخ المعروف للبشرية يقول بأن الشعب الفلسطيني عبر التاريخ هو صاحب الحق بالأرض، وهذا هو موقفي الشخصي وموقف الكثيرين من حزبنا ومن المواطنين، أما بالنسبة لموقف حكومة الأورغواي الحالية فهي تتعاطف بشكل واضح مع اسرائيل.. وهناك مبدأ لانستطيع الحكومة تغييره رغم تعاطفها مع اسرائيل.. وسياسة الدولة الآن لاتستطيع أن تتنكر للموقف الدولي الذي يعترف بحقوق الشعب الفلسطيني العادلة. هذا هوالموقف الرسمي لحزبنا وهو مع تطبيق القانون الدولي وقرارات مجلس الأمن. وموقفنا هذا معروف وهو معلن للملأ وعلى مستويات متباينة.. وبشكل مختصر تحقيق السلام مع كافة الحقوق للجميع.

□هل هناك نشاطات للحركة الصهيونية؟

■■نعم هناك نشاط كبير لها في الأورغواي حالياً.. فالجالية اليهودية تعتبر الرابعة من ناحية العدد من حيث الترتيب لكنها تعتبر الأولى أو الثانية على أقصى تقدير من حيث القوة الإقتصادية.

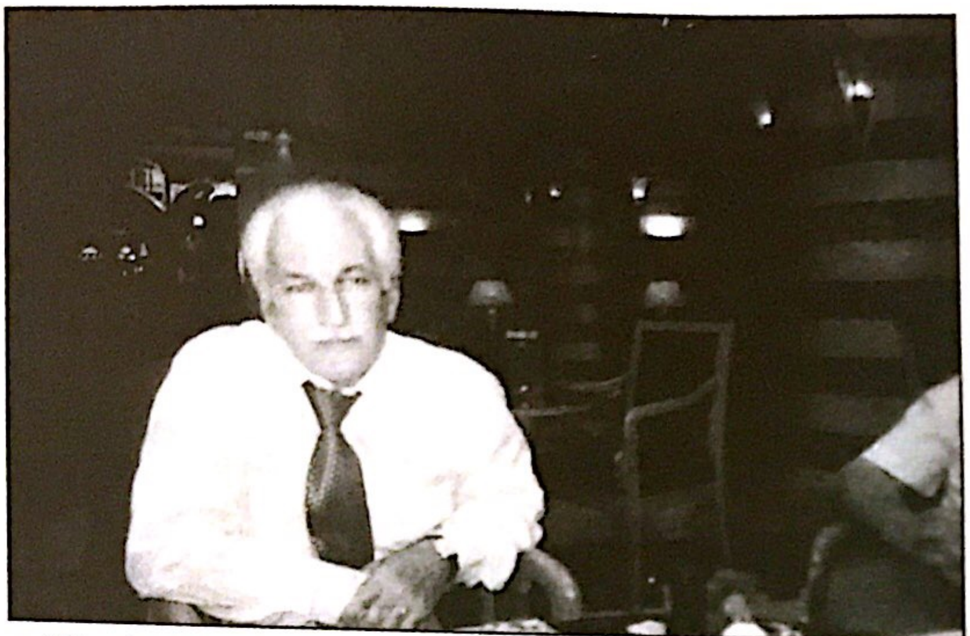
□ماذا عن الجالية العربية في الأورغواي؟

■■الجالية العربية في الأورغواي نشاطها ضعيف مقارنة مع دول أمريكا اللاتينية الأخرى، فهناك الآلاف من العرب أو المتحدرين من أصول عربية وفي التشيلي مثلاً: الجالية الفلسطينية هي الأولى من حيث الحجم والعدد والنشاط الإقتصادي.

□ما هو هدف زيارتكم الحالية إلى دمشق؟

■■لقد لبيت دعوة من الرفيق عبد الله الأحمر الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الإشتراكي ورئيس لجنة المغتربين.

إضافة إلى ذلك فأنا من المؤسسين القدامى لحركة المناصرة للقضايا العربية وكذلك في كوبا وفي العديد من دول أمريكا اللاتينية.



وأقول أيضاً بأن إعادة توحيد منظمة (فيا آراب) تمت بالجهود التي بذلتها الحكومة السورية فمنذ شهر آب العام الماضي الذي شهد

• أنا مع الإحترام التام والمطلق لحقوق الشعب الفلسطيني

• ارتفاع معدل البطالة وتراكم الديون الخارجية عمق الأزمة الإقتصادية

• الجالية العربية نشاطها ضعيف في الأورغواي

• الجالية اليهودية تعتبر الثانية في البلاد من الناحية الإقتصادية.

• اعادة توحيد منظمة (فيا آراب) تم بفضل جهود الحكومة السورية.

• بفضل نضال حزبنا واليسار في الأورغواي استطعنا أن نحقق بعض المكاسب الديمقراطية.

المؤتمر التوحيدي لمنظمة (فيا آراب) نستطيع أن نقول بأن المنظمة يمكن أن تفيد الآن فائدة فائقة الأهمية في امريكا اللاتينية وذلك في التأثير للحصول على الإحترام والتقدير للحقوق العربية عامة، وأنا لم أنقطع عن أي مؤتمر من مؤتمراتها وقد عبّرت دائماً عن تضامني مع الشعب الفلسطيني.

□ماذا عن الوضع الإقتصادي والديون الخارجية وتأثيرهما على الأورغواي ودول العالم الثالث.. ما هو رأيكم بهذا الخصوص؟

■■لقد طرحتم علينا سؤالاً كان في الحقيقة محور جدل هام في الأورغواي في الفترة الأخيرة، والجواب قد يستغرق شرحاً طويلاً لكنني سأوجز ذلك على الشكل التالي.. هنالك من كان يدعو إلى التنفيذ التام والمطلق حتى لو أدى ذلك إلى دفع فوائد باهظة لموضوع الديون، حتى أن الديون أصبحت باهظة جداً وذلك نتيجة تراكم الفوائد على الديون حتى أنها باتت لاتطاق مؤخراً، وقد وصل بنا الأمر إلى تقديم مشروع قانون إلى الحكومة يفيد بإلغاء الديون الخارجية من خلال التشريع الحكومي، ومشكلة الديون تعود بشكل أساسي للإنقلاب العسكري في الأورغواي الذي تم عام ١٩٧١م، ونتيجة لسياسات الحكومة المعادية لطموحات الشعب مما فاقم من مشكلة الديون وجعل البلاد تعيش أزمة اقتصادية خانقة وبفضل نضال حزبنا ونضال اليسار في الأورغواي استطعنا أن نحقق بعض المكاسب الديمقراطية بهذا الخصوص.

وكذلك استطعنا أن نحقق بعض التقدم في موضوع الديون، وفرضنا أخيراً على الحكومة موضوع جدولة الديون كخطوة هامة على طريق الحل حتى يمكن التخفيف من حجم الديون وبالتالي المساعدة في الخروج من الأزمة الإقتصادية في البلاد ■■

المعارك البديلة في كرة القدم

الأحلام المتساقطة بضربات الجزاء

أحمد جابر



تعرض أثناء العمل على هذه المادة مباراة حاسمة تجمع فريقي هولندا والبرازيل، وكنت أثناء النهار قد تعرضت لتهديدات جدية من عدد من الأصدقاء بعقوبات صارمة إذا ما أعلنت تأييدي للبرازيل، فجميعهم يريدون الثأر للمغرب، وأنا أيضاً، ولحسن الحظ أن التعادل بهدف لكل من الجانبين هو السائد حتى الآن، والآمال كبيرة بفوز هولندا وسأصلي لأجل ذلك!

ورغم أن الحماسة لم تنته بعد، لتتاح لنا الكتابة بهدوء عن الاحتفالية العالمية بكأس العالم، إلا أن ما جرى حتى الآن يتيح لنا أن نشكل لوحة شبه كاملة عن هذا المهرجان، وما أحاط به، ولا يغير شيئاً باعتقادي هوية بطل العالم وحامل الكأس لأن الظواهر التي أحاطت بالحدث ستبقى معزولة نسبياً عن هوية الفائز كائناً من كان.

ولعل أولى الملاحظات المسجلة هي التداعيات السياسية التي رافقت بعض المباريات والتي عبرت عن نفسها بالشعارات الاعلامية المطلقة باعتبار الانتصار الرياضي هو انتصار للخط السياسي للبلد الذي ينتمي إليه الفريق، هذا ما كان واضحاً في المباراة التي جمعت الولايات المتحدة وايران، والتي تحولت معركة سياسية لم تكن مادتها فقط الأحد عشر لاعباً من كل فريق، أو ملايين الأمريكيين والايرانيين، وانما أيضاً ملايين أخرى تنتمي لشعوب أخرى، اختارت التمترس خلف أحد الجانبين لأسباب سياسية، هذا ما فعلناه نحن العرب فكان من الطبيعي أن نصطف خلف ايران، فرحين بانتصار فريقها لدرجة أن البعض منا ربما اعتبر هذا الانتصار مجرد بروفة لمعركة حقيقية قادمة ينهزم فيها اليانكي شر هزيمة.

شهدت البطولة أيضاً حضوراً طاغياً لنظرية المؤامرة، عبّر هذا الحضور عن نفسه في المباراة التي جمعت البرازيل والنرويج حيث حققت الأخيرة انتصاراً مفاجئاً وغير مبرر أدى إلى خروج المغرب، ومما زاد الطين بلة، أن الحكم أمريكي وبالتالي فالتآمر على العرب تحصيل حاصل، وإذا كان ثمة ما يبرر هذا الاعتقاد في هذه الحالة فلا أعرف بالضبط ما الذي يبرره في خروج الاسبان من البطولة، أم أنه ربما الشفقة على أبناء عمنا الأندلسيين والتعاطف معهم!!

ملاحظة أخرى تصب في نفس الاتجاه تتعلق بتصاعد المشاعر القوية وقت المباريات أو أثناء الاستعداد لها وانخفاضها بشكل مثير للدهشة بعدها في حالة الهزيمة، فنحن أيدنا تونس والمغرب والسعودية قبل خروجها، وكنا نتحدث عن الوجود العربي، وعن الكرة العربية، وعن أبطال العرب، وسرعان ما تراجعت اللغة ليتحول الحديث إلى مجرد حديث عن التونسيين والسعوديين الخاسرين، ونجا المغرب من هذا الهجوم اللغوي محمياً بتآمر الحكم الأمريكي والبرازيليين الذين باعوا الفوز للنرويج!

ولوحظ أيضاً ارتفاع نقاط النزوع القومي، ففي اسكتلندا مثلاً تغير المعدل ايجابياً في نسبة من يريدون الانفصال عن المملكة المتحدة، ولم يتأخر الايرانيون فاحتشدوا على المنصات مؤيدين للنظام ومعارضين له لتشجيع فريقهم الوطني.

ثمة ملاحظة أخرى يجدر التوقف عندها، وهي ماذا يعني حفل الانتصار في بطولة لكرة القدم لبلد يموت سكانه جوعاً، أو تحصدهم الديكتاتورية كما في نيجيريا، أو لبلدان محكومة بعقد الهزيمة المزمنة والتفكك والتراجع القومي كما حال العرب؟.

ربما يكون الجواب كامناً في أن المشاعر الحقيقية الغالبة هي مشاعر التعويض عن النقص المزمن، أكثر مما هي مشاعر فرح حقيقية، فالمواطن الجائع والمضطهد والمحروم من الخبز والديمقراطية، يرى في الانتصار الرياضي انتصاراً شخصياً له على ما يعيق تحرره وتقدمه ورفاهيته الخاصة، هنا تتحول البطولة إلى مادة فعالة للتخدير والتعتيم على المشاكل الحقيقية، خضوعاً لمشاعر الحماسة الطاغية. إضافة إلى الجانب السياسي الذي تناولناه على عجل، نجد أن كأس العالم لم تتشكل فقط من المباريات والبرامج الرياضية الخاصة، انما تكونت من مجموعة متكاملة من المواد الاعلامية المقدمة لتستفيد من أكبر متابعة تلفزيونية جماهيرية، في فرصة نادرة لتوفر هذا القدر الهائل من المشاهدين.

وضمن هذا النسق أيضاً نستطيع التوقف عند عدد من الملاحظات، أولها ظاهرة الشهرة السريعة التي تحققها هذه البطولة، ليس فقط للاعبين والمدربين، والحكام، وإنما أيضاً لكبار المشجعين وعتاة المشاغبين أيضاً.

أصبحنا نعرف جحي وشيبا المغربيين كأنهما من أولاد الجيران، ولاعب فرنسا زين الدين زيدان أفدنا عن أصله وفصله، وفرحنا بأنه من أصل عربي (نوع آخر من التعويض) وتقدمت أسماء رونالدو، وباجيو وبانيستوتا وأندرتون وسيمان وسامي جابر وغيرهم.

ظاهرة الشهرة السريعة هذه ترافقت مع تجسدها التجاري عبر الارتفاع الكبير لأسعار اللاعبين لتصل إلى أرقام خيالية، ربما لا تصل إليها موازنات بعض الدول، وهذا يطرح أسئلة حول تحول كرة القدم من مجرد رياضة إلى صناعة كاملة لها مصمموها، ومروجوها ومدراؤها وسلعها، واحتكاراتها ومافياتها أيضاً.

وبعد.. لم يبق شيء، وعليّ أن أنهي المقالة هنا، فالمباراة انتهت الآن بفوز البرازيل على هولندا بضربات الترجيح، والآن عاد الهولنديون إلى أرضهم المنخفضة، أما نحن فمازالت لدينا فرصة أخيرة للثأر من البرازيل على يد الكروات أو الفرنسيين، ولم لا مادامت الأحلام مجانية ■■

غسان كنفاني/ المتعدد في واحد

ما ان تَسَوَّت الدنيا في عينيه بعكا ١٩٣٦، حتى انصدع فيها عمود الضياء. وفيما كان يَحسَب دربَ العشب في ربيعه الثاني عشر يُفضي إلى الآخرين ألفى الدرب مُصَوَّحاً والعشبَ ضامراً.

طار الحلم شعاعاً راح يُلَمْلمهُ في دمشق/ الكويت/ بيروت بالقلم النسيق، لاليكتب دراسات/ مسرحيات/ قصصاً/ روايات/ وإنما ليغني آلامه.

يُحاول بالغز في مطاوي الفكر عبر «الحرية» /«المحرر»/ «الأنوار»/ «الحوادث»/ «الهدف»، ليرسم حدوده، قلتْ مداره، قلت مجرَته. كان يأنف الكتابة من أجل الكتابة، فهو نموذج السياسي، الناقد، القاصّ، الروائي بامتياز. ولكي لايشغل هاجس الطواف عن نقطة الدائرة في عالمه، كان يملأ راحتيه أحجاراً كريمة، ملونة يداعبها صقلاً، حتى إذا ما ألقاها في الهواء لايسأل أين سقطت، وإذا رماها خلف مدى البصر لم يأبه لأنه يمتلك منها الحظ الوفير.

وجَدَ غسان كنفاني أمامه محطات جد ثقيلة تسحق الطفولة: محطة لم [illegible]رقها يتَسَعَّر لينفجر في الصباح الأشقر، محطة فضاءٍ أعلى مشوبة بأشباح غيوم تهددها [illegible] عاتية خلال النجوم الكسالى. محطة أبعادٍ تراها البصيرة لا البصر.

قمعية المياه، حائلة القرار، وتهاله في كل هذا كتلة صمت تفرخ جزيئاتٍ موات تتماوج في جليد الوهدة الحُبلى.

وفجأة تنفجر تمزق الجو أصداء نحاس قديم. صرير حديدي، صرير صنوج يملأ الأكوان. مجامر ماردة تلعق الحضور عصفة من الرياح الأخيرة، رياح التاريخ.. وفيما هو يتقدّم في الدرب زكمت أنفه رائحة الموت. ريح من تلك الرياح هزّت شمساً بالغة اليباس، حطمتها نثاراً أخضر، اعتصرتها قطرات، كأنها من دم الآس والبيلسان، وتنهد الدرب، تجذّب في بياض قدسي، فقد ضجيجه في تلك اللحظة لم تبق الحياة لأحد. أين الحياة أينها؟ حياة الواحد أمست حياةً لآخر ما. ساح قتال غاب فيه الحضور. الكل أضحوا سور أموات تنشد تماثيل رجال. قطرات تتصادم عند تقاطع الدروب. الوطن متشح بالعتمة. عكا ترتجف. أغصان الياسمين بيافا تشنجت أزهارها وبقيت الأوراق تخط آيات النزوح.

ففي العديد من قصصه المَوَراة في «ارض البرتقال الحزين»، أو تلك الساجية على أنغام «عالم ليس لنا» كان يَتصدُ ما فوق الإمكان، ليؤكد بحرارةِ شيئاً ما مدفوعاً إلى التسامي.

نمدُّ الآن أيدينا إلى جعبة هذا الحاضر فينا، رغم إيغاله في الغياب، فنخرج بعض أحجاره الكريمة الملونة لنضعها من جديد تحت بؤرة الضوء، تتلألأ بصفاء ذهنه، وسحر طويته. إنها المثال، على التعدد في الواحد، تختزل الموهبة، وعمق التفكير، وتعكس وجهاً آخر لإهتماماته النقدية في اللغة والأدب، حيث يطالعنا بقراءة لكتاب واحد من أشهر رواد النهضة العربية الحديثة. إنه يبحر مع المفكر «ساطع الحصري» ليكشف الأمداء، ويعانق لغة الضاد، فنراه مسكوناً بشكل مبكّر بقضايا هذه اللغة، لابوصفها لغةً جامدة، مجرّدة، وإنما بوصفها قضيةً حيّة، متجدّدة. هاجسه أن يرتفع بها، ويسمو إلى مصاف اللغات العالمية الحية ■■

«الهدف» ١٢ تموز ١٩٩٨ ـ العدد ١٢٨٣

الهدف الثقافي

حول الكتاب "آراء وأحاديث في اللغة والآداب" ساطع الحصري

كاتب يحترم القارىء...

بقلم غسان كنفاني

هذه المادة كتبها غسان خلال فترة اقامته في الكويت ونشرها في صحيفة الرأي الناطقة بلسان حركة القوميين العرب بتاريخ الاثنين ١ نيسان ١٩٥٨ العدد رقم ١٦٤

اللغة في عرف المفكرين، كائن حي، يخضع لكافة شروط النمو والتطور والتكامل، وأحياناً الموت.. وحياة لغة ما أو موتها تتعلق أولاً بإمكانياتها على التلاؤم مع الوسط، بالنمو المستمر، وبالتتبع المتواصل لانتصارات المخبر، وانتصارات الفلسفة، وانتصارات الفلسفة، وانتصارات العلوم المختلفة.

واللغة - من حيث هي رابط وجداني بين أفراد أمة واحدة غالباً، ومن حيث هي عطاء بين قوميات متعايشة ومتعاونة، هي شيء انساني، يخضع، بل يجب أن يخضع إلى أن يتطور ويتكيف ويتكامل ويستمد، ويضمر من بعض جهاته ويتعاظم من بعضها الآخر دون ان يفقد روحيته الخاصة وشخصيته المتميزة.

واللغة، ايضاً، هي الجانب الروحي من الحضارة، والذي يدل على تلك الحضارة وخصبها او جدبها، هي كذلك لانها ترافق الجريان الدائم، للتاريخ وتتساند مع التيار الصاعد عبر الصراع البشري، او الهابط وسط الضياع، وتعكس من خلالها الشق الوجداني لتاريخ امة من الأمم.

وبعض اللغات يموت، وبعضها يتفسخ، وبعضها يتجمد تحت غزارة الطلب، وبعضها يعيش، وينضج، ويلبي مطالب الحياة جميعها.. وبعضها يعيش طافياً على السطح، بلا جذور... ففي أي نوع من هذه الأنواع تندرج لغتنا العربية؟.

المعروف ان العربية عاشت تلبي مطالب الحياة المختلفة وتعضد عالم المخبر، وفيلسوف الصومعة، وتؤدي لهما كل ما يطمحان إليه، ثم انكمشت على نفسها تحت وطأة الضغط الذي رزح تحته المجتمع العربي في كافة نواحيه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية طوال عصور الانحطاط الثقيلة.. وكان من الممكن للعربية أن تذوب في أمواج اللغات الآتية مع غزوات المغول، وفارس، والصليبيين، وان تتهاوى تحت ضغط الهزائم التي كان يقع فيها المجتمع العربي يومذاك، ولكن عوامل كثيرة ساعدت على حفظها، أهمها القرآن بطبيعة الحال، والشعور الديني الصوفي الذي كان يفرض نفسه على الغازين، ويفرض بالتالي احترام لغة هذا الدين.. ثم تنافس اللغات الدخيلة نفسها..

ولكن انكماش العربية وتجمدها واحجامها عن التفتح للعالم عن ضغط تلك الظروف الخاصة في العصور الوسطى، واستمرار هذا الانكماش وهذا التجمد طوال قرون طويلة، وان حفظ للعربية هيكلها اللفظي العام، وأبجديتها، وروح تاريخها الزاخر، إلا أنه فتح فيها ثغرات واسعة، متباعدة.. بعضها جانبي وبعضها أساسي.. ولكنها تشترك جميعها في انها وقفت دون اللغة ودون المستوى المطلوب منها في هذا العصر.

ومع اليقظة الجديدة للمجتمع العربي الجديد.. تقف قضية اللغة في الصف الأول مع القضايا التي تستلزم حلاً صحيحاً سريعاً، وتختلف عن تلك القضايا بأنها مشكلة ذات وجهين خطيرين أساسيين.

١) اللهجات العامية وتباعدها المستمر عن الفصحى.

٢) الفصحى، وعدم مقدرتها على متابعة التطورات العالمية من علمية وفلسفية ولغوية إلى آخر ما هنالك..

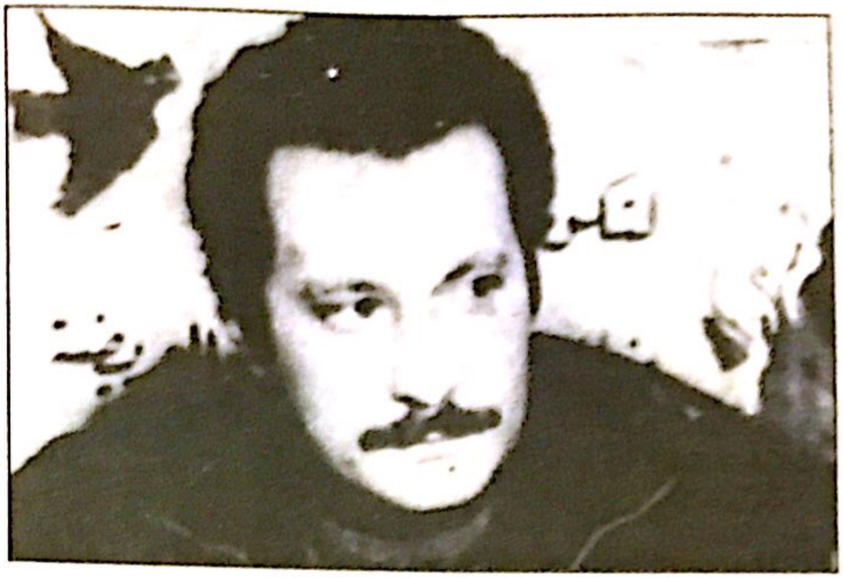
من أجل المساهمة في حل هاتين المشكلتين، ومشاكل أخرى جانبية وثانوية، كتب الحصري: (آراء وأحاديث في اللغة والأدب).

ان ساطع الحصري كاتب يحترم القارىء، ويقدم له «عذاب لحظات، وذبح شرايين» ونتائج بحث طويل مستفيض.. والشيء الأهم في القضية ان للحصري أسلوباً مميزاً خاصاً، سهلاً، وممتنعاً وعميقاً في نفس الوقت، فهو يفتش طويلاً عن الكلمة الملائمة للتعبير ولكن تفتيشه هذا يتجه دائماً نحو ايجاد الكلمة الأسهل، والأسرع على الفهم.. لا الكلمة «السمجة، المشوشة، المعجونة بغرور التفلسف» كما يفعل بعض «فلاسفتنا» الشباب.. فالحصري اذن يحترم القارىء، ويحترم الكلمة، ويدفع هذا القارىء لأن يتمنى أن يعيش كل أدبائنا وفلاسفتنا العمر الذي عاشه الحصري كي يعطوا هذا للناس شيئاً يستحق القراءة.. بذلك التواضع وذلك العمق..



المفكر العربي ساطع الحصري

القضية التي تهمنا تبدأ من (ص٤٢)، قضية الفصحى والعامية، ووجود هذه القضية مخالف لمقتضيات الحياة القومية السليمة بطبيعة الحال.. فالأمة «تحتاج إلى لغة موحدة تزيدها تجاوباً وتماسكاً» والحل الذي يقترح عادة في مثل هذه الحالة هو اللجوء إلى حل وسط، كطريقة للوصول إلى الحل الصحيح، وهذا الحل هو استعمال لهجة يستعملها حالياً المثقفون في التخاطب.. تبتعد عن انخفاض العامية وتقترب من الفصحى..



ولكن هل هذا الحل أمر سهل بسيط؟ أليس في حاجة لدراسة طويلة، واستقصاء لكل ما يلزم للعربية الفصحى، ولكل ما لا يلزم من العامية؟. ألم تلجأ العامية في مراحل كثيرة من تاريخها إلى أن تستعمل كلمات تفتقر إليها الفصحى: ألم تستعمل كلمة (مال، حق) في الكويت والعراق، في سوريا (تبع، شيت)، في مصر (بتاع)... الخ.. من أجل توضيح المضاف عن المضاف إليه فنقول (قلم بتاع علي) (دفتر مال سعيد..) الخ؟ ألم ينتج هذا عن «وجود حاجة يشعر بها الناس في جميع الأقطار العربية، وان سلكوا لسدها مسالك مختلفة» ص(١٩٠) ان العامية ترفد الفصحى أحياناً. فالقضية في حاجة لدرس وتمحيص.. ومقارنة العربية باللاتينية والتشجيع الضمني على استقلال اللهجات هو خيانة قومية، لو حكمنا عليها عقائدياً.. ان اللاتينية تختلف عن العربية وتاريخ اللغتين والملابسات التي رافقت تطورهما أمور لا تسمح لنا بمقارنتهما.

وان استعراض هذا الفرق بالتفصيل (من ص٥٣-٨٢) يدلل على استحالة هذه المقارنة بحال من الأحوال.

ولكن الأزمة التي تجتازها العربية الفصحى، في عالم القرن العشرين، هي أزمة من نوع معقد فالمفكرون يعتقدون ان اللغة العربية لا تتوفر فيها القابلية لتكوين مصطلحات علمية يحتاج إليها الجيل الحاضر.. ويرى اللغويون ان العربية هي أغنى لغات العالم.. والقضية تتأزم ما بين الافراط والتفريط.. فالعربية غنية، هذا صحيح، ولكن كنوزها لا تعمل في الأسواق ولا تجري بين الناس. «فالغنى في اللغة لا يقاس بعدد الكلمات المسطورة في القواميس، ولا بكثرة المرادفات المطمورة فيها، فإن القواميس لم تكن مجمعاً للكلمات الحية فقط، بل هي مدفن للكلمات الميتة أيضاً، فمثل الذين يتفاخرون بكثرة الكلمات المسطورة بالقواميس بدون ان يلاحظوا حيوية تلك الكلمات وفائدتها ـ كمثل من يتفاخر بسعة بلدة، دون أن يميز بين مساكنها وقبورها...» ص١١٧.

ان الغنى المتكلم عنه إذن مجرد خرافة منفوخة.. فاللغة الآن في حاجة «للاهتمام التنظيمي» كي تساير لغات العالم في المصطلحات الضرورية لممارسة الكتابة والتعبير بوضوح ودقة.. ان على دولة ما ـ والجمهورية هي الوسط الطبيعي لتبني مثل هذه القضية القومية ـ مهمة الاتفاق على الاصطلاحات العلمية..

وفي الطريق إلى مثل هذا الاتفاق يقترح الحصري ان نكون بمستوى جرأة أجدادنا الذين أوجدوا «البسملة، والحوقلة» وان نلجأ إلى «النحت» بغية الاختصار وضبط المعنى المطلوب لقد قال بعض المفكرين العرب. لا ارادي، ولا شعوري.. لماذا لا نتابع: «لا أخلاقي. لا اجتماعي، لا جناحي. لا حياتي... الخ» لماذا لا نبتدع: «غبمدرسي» من (غب) بمعنى (بعد) و(مدرسي) لنتفق على اصطلاح صار موضع استعمال كثير؟ ولماذا لا نقول أيضاً: (غبجليدي) قبتاريخ (قبل التاريخ) فوسوي (فوق السوي) تحشعور (تحت الشعور) السرمنة (السير أثناء المنام)...

انني لا أريد أن أقدم للقارىء كتاب الحصري كما قرأته، لأنني لن أنجح في توضيحه قدر نصف ما هو موضح.. ومع أن معظم مقالات الكتاب كتبت منذ زمن بعيد، إلا ان الحاجة إلى أخذها بعين الاهتمام مازالت واردة.. والحاجة إلى عقد مؤتمرات لدرس وجوه الاختلاف والتناقض وامكانيات التقريب والتشذيب ضرورية.. ان هناك مجموعة قضايا لم يبت فيها بعد، وتحتاج إلى زمن طويل كي تهيأ لها الحلول، والواجب الملقى على هذا الجيل يلح بالدعوة لوضع مثل تلك الحلول.. إذ أن الفرصة المتاحة أمامنا للارتفاع بلغتنا إلى مصاف اللغات العالمية يجب ألا نوفرها قط، ولا نؤخرها أو نؤجلها أبداً.

وهنالك أسئلة كثيرة مازالت تلح، وحلها يتخذ طابعاً فريداً في كتاب الحصري: قواعد اللغة العربية وكيف يجب أن تدرس (ص٨٣) لماذا لا نستعمل بعض الاصطلاحات العربية الأصيلة (ص١٤٨) من أين تشكلت عامية تونس الغريبة (ص١٥٨) لماذا تختلف أسماء الشهور في البلاد العربية؟ (ص١٨٥) ما هو المعنى الحقيقي لكلمة (جنس)؟ (ص١٩٤) بقايا التركية في لغة مصر الرسمية.. استقلال الكلمات في المعاجم الصفراء والتي لا تملك سواها (ص٢٢٠). كيف نكتب الاعلام الأجنبية (ص٢٠٩).

هذه القضايا هي بعض ما نواجه في الارتقاء بلغتنا العربية والنهوض بها لكي ترفد الصعود الدائم لعقول أبنائها وأقلامهم.. واللغة التي ساندتهم في كل أيام تاريخهم وفرضت نفسها كلغة علوم وفلسفة خلال حقبة من التاريخ ليست ضعيفة ولا ميتة ولا تحمل بذور فنائها.. بل تحتاج إلى اهتمام ودراسة ودعم شديد..

وان قيمة كتاب الحصري الجديد، تختلف شيئاً ما عن قيمة كتبه القديمة، لقد جهد في تلك الكتب ليقنع الناس بفكرة استنزفت جزءاً كبيراً من حياته، وها هو ذا يراها تتحقق شيئاً فشيئاً بعد ان ذرف على التسعين.. ولكن في هذا الكتاب، يمد يده ليمسك بأيدي مفكرينا كي يخوضوا في بحث هذه المواضيع الخطيرة.. انه يضع العلامات على المشاكل.. ويكشف عن علامات استفهام كبيرة.. وينبه إلى ضرورة تلزم لتوكيد الوحدة القومية.. انه يخطو في هذا السبيل الخطوة الأولى والخطوة الأولى.. كما قالوا في القديم.. هي بداية لرحلة الألف ميل.. ■■

الشعرية في قصة غسان

"كان يومذاك طفلاً"

عبد الكريم درويش

تقوم جمالية النص القصصي أساساً في الإخراج الفني الذي يعتمده خطابه السردي. فشعرية هذا النص لا تحددها الوقائع المروية، رغم ما يمكن لهذه الأخيرة أن تقدم من مساهمات خطيرة أحياناً في هذا المجال إنما تحددها قبل أي شيء آخر طريقة الرواية وصيغ العرض والإخبار، مما برّر للبعض قوله إنها تمثل في «مغامرة الخطاب». في سعينا لمتابعة مغامرة خطاب أقصوصة كنفاني «كان يوم ذاك طفلاً». نمضي إلى النظر في التوليف الخاص الذي تخضع له متتالياته السردية والزمنية المتميزة التي تحكمها من جهة، والتمعن في نمط الرؤية وموقع الصوت المعتمدين فيه من جهة أخرى، باعتبارها تشكّل أهم المجالات أو المستويات الخطابية التي يتبدى فيها الجهد الإبداعي للعمل القصصي، مع ما يتضمنه هذا الجهد ويفترضه من نظرة إلى أحداث الحكاية.

التقديم والتأخير:

لعل أول مايسترعي الإهتمام في الخطاب السردي، هو نظام القصص، وهو ذلك الترتيب الذي تعرفه وقائع الحكاية في الإمتداد النظمي للخطاب. فإذا كان منطق هذه الوقائع يفترض حدوثها في سيرورة خطية وحيدة الإتجاه. فإن النص القصصي قلما يعرف سيرورة مطابقة أو متوازية معها، إذ أنه غالباً ما يؤخر، ذكر بعض الوقائع يمكن تسميتها رجوعات، وأحياناً يقدم بعضها الآخر، استباقات لتنشأ من ذلك النسيج المتميز والمترابط مع الخط المتتابع والموازي لسير الأحداث علاقة تفاعل خطابي من الإثارة والتشويق ومن الفنية والجمالية القصصية. بيد أن انتظام القصص على هذا النحو أو ذاك لايقتصر دوره على هذا المستوى الجمالي وإن كان أساسياً فيه، بل إنه يتعداه إلى المستوى الدلالي ليعبر عن وجهة نظر ضمنية أو خيار غير مصرح به إزاء المروي والمروي له. يدخل هذا البعد الدلالي في علاقة جدلية مع ذاك المعلن أو الممكن استخراجه من التشكل البنيوي والأداء الحدثي، قد تكون علاقة تنافر وتنازع، أو تجانس وتضافر لايمكن الإستخفاف بمضاعفاتها. ضمن



هذا المنظور نسعى إلى تحديد النظام السردي المتبع في «كان يومذاك طفلاً» والترتيب القصّي الناشئ عنه وأهم دلالاته. من أجل ذلك يتعين علينا بدءاً توضيح بعض المفاهيم والطرائق المعتمدة. فالنص القصصي يمكن تجزئته إلى وحدات بسيطة يقدم كل منها على الأقل حدثاً بسيطاً أو وظيفة بسيطة، بحيث يتكون من هذه الوحدات متتاليات سردية. يتيح النظر في هذه الأخيرة، تميز المتتاليات التي تقع حديثاً قبل تلك التي انطلق منها القَصَصُ أو التي يتابعها في سيرورته بعد نقطة الإنطلاق هذه، كما يتيح تمييز المتتاليات التي تقع بعد تلك التي يتوقف عندها القصص، أو التي لم يتناولها بعد في السياق التتابعي الذي تندرج الأحداث فيه. سوف نقسم نص «غسان» إلى ثلاث وحدات بسيطة: تبدأ الوحدة الأولى من مطلع النص [مَسَحَ الزَّبدُ المتوهّجُ باحمرار الشروق رمالَ الشاطئ الفضي...] وحتى أحاديث الركّاب عند الحاجز الصهيوني وتوقف السيارة [ثم وقفت السيارة وأطفأ السائق محرّكها] أمّا الوحدة الثانية فتبدأ من أمر الركاب بالنزول حتى فرار الطفل باكياً. وتبقى الوحدة الأخيرة من سماع الطفل ضحكة الصهاينة وحتى عدّه البطيء: واحد، اثنان، ثلاثة.. فإذا كان النص القصصي يروي حكاية أولئك الركاب الفلسطينيين التي تبدأ لدى البعض من عملهم في ميناء حيفا، أو كما هو حال الطفل من غياب أبيه وتكليف أمه له بمعرفة وضعه، فإن الخطاب السردي يبدأ من نقطة محددة لاحقة على ذلك، هي بلوغ سيارة الركاب الطريق القريب من عكا قادمة من حيفا. ولايذكر وضع الطفل أو وضع العمال إلا لاحقاً، وبعد ذكر انتظارهم هذه السيارة في شارع الملك فيصل في حيفا. كما أن النص الذي يتوقف عند سير الطفل وسط الطريق، عند نهاريا، وعدّه يشير في الوحدة الأولى مثلاً إلى المحامي الذي يتعين عليه فحص ارض في «الكابري» قبل جلسة المحكمة في حيفا، أو إلى الطفل الذي تنتظر إمرأة من الركاب صحوه... واضح هنا أن الطفل الذي ينام على أبواب عكا، يصحو عند مدخل نهاريا، بعد أن تكون السيارة عبرت كل الطريق الفاصل بينهما، مع مامرّ خلال ذلك من مشاهد وما جرى من تصرفات وأحاديث داخل السيارة، أما المحامي فإن بلوغه الكابري، ناهيك بعودته إلى حيفا، يقع بعد نهاريا حيث يتوقف القصص، عدا عن كونه يصبح مستحيلاً بعد مقتله عند هذه المستعمرة ينتج عن ذلك سمات دلالية ثلاث لهذا الخطاب السردي:

○ السمة الأولى هنا تتمثل في اقتصار الرجوعات الواردة على الوحدة الأولى من النص والثقل النسبي الذي تؤديه فيها. ولما كانت هذه الرجوعات تعبّر عن اتصال ماضي القصص بحاضره، فإنها تدل على نحو بارز على التواصل الذي يسم الوضع الفلسطيني المتناول في هذه الوحدة وعمق جذوره. والملاحظ أنها تتواصل إلى جانب متتاليات حكاية الحاضر (المعبرة عن حاضر القصص) بالإستباقات (المشيرة إلى مستقبل القصص). فمعظم هذه الأخيرة تأتي على صلة مباشرة برجوعات مذكورة (كما هي حال عودة الطفل مقابل إرساله، وفحص الأرض وجلسة المحكمة مقابل توكيل المحامي، وتوصيل المكاتب مقابل تحميلها، بلوغ السيارة عكا مقابل قطعها الطريق من حيفا إلى العلمين، وإصلاح السيارات مقابل المراتب اليقظة، وانتقام الله مقابل نسف الصهاينة دار الأيتام..)، كما أن الأهمية العددية لهذه الرجوعات تكاد تجعلها، موازية للمتتاليات الخاصة بحكاية الحاضر،

لتظهر الوحدة الأولى بناءً لذلك على مستوى عالٍ من التواشج والتوازن بين متتالياتها المختلفة (وبالتالي بين الماضي والحاضر، خاصة والمستقبل). وإنما أيضاً على حد كبير من الإضطراب والتمزق فيما يتعلق بالإستباقات (وبالتالي المستقبل). نظراً لما تعرفه من إسقاط واحتمال يكادان يكونان متساويين. بما في ذلك إحباط والتباس معاً. إلا أن المدى الزمني البعيد الذي يحيل الخطاب السردي إليه يبين في الرجوعات عن عمق الإنتماء والتواصل، وفي الإستباقات عن جو الأمان والسلم الراسخين.

○○ السمة الثانية المتصلة بالأولى تتقدم في غياب الرجوعات في الوحدة الثانية التي تعرف إلى جانب متتاليات حكاية الحاضر عدداً محدوداً من الإستباقات. وإذا كانت الرجوعات قد دلت أعلاه على عمق جذور الفلسطينيين، فإن غيابها هنا يدل على انعدام جذور الصهاينة والإرهابيين، وعلى طابع التقطيع الذي يسم حضورهم. فليس هناك أي إشارة إلى ماضي هذه المجموعة من القتلة، بحيث يبدو وجودهم بأكمله طارئاً ومفاجئاً ومخلاً بالوضع برمّته. لكن التقطيع بارز أيضاً في متتاليات حكاية الحاضر التي لاتكف عن تبيان المفاجئ في تصرفات الصهاينة: من الإنزال إلى التفتيش، ومن التأكد من عدم وجود سلاح إلى إعلان الحرب، ومن تحميل الطفل رسالتهم الإرهابية إلى تهديده بالقتل.. بل أن هذا التقطيع قائم كذلك في الإستباقات المثبتة هنا، والتي تتميز عن تلك التي عرفتها الوحدة الأولى بكونها مشاريع مفروضة على آخر (الطفل الفلسطيني) وليست مهام مطروحة على الذات، كما هو الحال في الإستباقات السابقة (وإذا كان انتقام الله بين هذه الأخيرة متميزاً فلانه تحديداً مرتبط بالتقطيع ـ قطع يدي من يقتل يتيماً من ناحية، وبالإجرام الصهيوني نفسه ـ قتل أطفال دار الأيتام في يافا ـ من ناحية ثانية، ومع ذلك فإنه أبعد ما يكون عن الفرض وأقرب ما يكون إلى التمني والوهم)، كما تتميز عنها باقتصارها على مدى زمني قريب يحيل إليه الخطاب السردي، وإذا كان واحد من الإستباقات الثلاثة الأخيرة (الركض) يعرف التحقق لاحقاً، فإن الإثنين الباقيين يحفلان بتناقض صارخ. فالتذكر المطلوب من الطفل لما رآه يفترض إبقاءه حياً، واطلاق النار عليه في حال عدم ابتعاده بصورة كافية يفترض قتله! لكن هذا التناقض في المشاريع (المستقبل) كما في التصرفات (الحاضر) يضمحل في المنطق الإرهابي، أو أنه مكون أساسي فيه، وهذا المنطق هو الذي يحكمها جميعاً فيعطيها ليس اتساق كل منها وحسب، وإنما كذلك تماثلها وتجانسها جميعاً في الكيان الإرهابي.

○○○ السمة الثالثة بارزة في غياب الرجوعات والإستباقات معاً في الوحدة الثالثة التي يقتصر الخطاب السردي فيها على متتاليات حكاية الحاضر فقط. وإذا كان لغياب الرجوعات أن يدل على اللاأصول مع الماضي، ولغياب الإستباقات أن يدل على انقطاع مع المستقبل، فليس لأن اللحظة الحاضرة تستحوذ على الخطاب بأكمله وحسب، بل ايضاً لأن هناك انقطاعاً فعلياً يتم مع ما قبلها ومع ما بعدها يتمثل الإنقطاع الأول في الإنتقال من حال الصحو والدهشة غير الفاعلين إلى حالة اليقظة والوعي الفاعلين، كما يتجسّدان في موقف التحدّي والمقاومة. أما الثاني فيتمثل في الإنتقال من مشروع سلبي مفروض إلى مشروع ايجابي مختار وممارس في الوقت ذاته، بحيث يترك مجالاً للمستقبل غير مايمكن للحاضر أن يمتدّ فيه، أو كأنهما يتحدان معاً، في الموقف البطولي المتميز. إلاّ أن متتاليات حكاية الحاضر الواردة هنا تشير إلى مسألة شديدة الأهمية، ذلك أنها خلافاً للمتتاليات السابقة عليها جميعاً، لاتعرف تحقيقاً لأي استباق معلن قبلها، كأنّ في ذلك رفضاً للمشاريع المفروضة على الذات الفلسطينية (الطفل) من جهة، وخطاً مباشراً وآنياً لمشروع جديد ومختلف هو المجابهة الفدائية من جهة ثانية. في هذه الممارسة الفدائية بالذات يتحقق التواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل في لحظة زمنية واحدة. إن المقاومة الفدائية هنا تشكّل ردّاً ذاتياً على الجواب المحمول من حيفا (عن حياة الأب) وعلى الرسالة المفروضة عند نهاريا (الإرهاب الصهيوني) في موقف يتجاوز الإنتظار الماضوي ويكسر الترهيب المستقبلي ليعلن زمنه الفدائي المقاوم الآني والمفتوح. إن هذا الموقف بالذات يعيد إلى النص توازنه الذي اختل بالتدخل الصهيوني، فكما قطع هذا الأخير المشاريع الفلسطينية، يقطع الطفل مشاريعه، فيكسر إرهابه عندما يحوّل الفرار إلى عمل فدائي يكمل الطريق التي قطعها



هذا الإرهاب، ويعلن بذلك زخم انجدال الأزمنة الثلاثة فقط على خطاه، وإنما أيضاً يعلن رسالة مختلفة وحكاية أخرى ونصاً جديداً يتكون.

النظر/ الكلام/ الفعل:

أـ يسعى تناول منظور السرد إلى الإجابة عن السؤال التالي: من يرى؟ فالخطاب السردي ينقل رؤية أو وجهة نظر بعينها، وذلك من خلال عملية التبئير التي يعتمدها. فقد يكون التبئير خارجياً لايتيح التعبير إلا عما يحدث من وقائع وما يتم من تصرفات تقع جميعاً في نطاق المشاهدة العيانية الخارجية، كما قد يكون داخلياً، وهو هنا يأتي تعبيراً عن وجهة نظر شخصية فردية ثابتة أو متنقلة أو متعددة. لكنه يأتي كذلك مطلقاً لايلتزم بخارج أو داخل حتى يكاد يصبح الحديث عن تبئير صعباً، فيقال أنه غائب أو معدوم (أو صفر) حيث لايأخذ الراوي بزاوية محددة، ويتقدم في روايته كلي الحضور مطلق المشيئة في الإختيار والأخبار.

وهذا النوع الأخير هو السائد في الأقصوصة. يتيح الإنعدام للراوي حرّية واسعة في تناول الأحداث والشخصيات، فلايعترض الراوي من خلاله أي حاجز في رؤية الوقائع وخلفياتها قد يحد من تناولها أو بلورتها. كأن بذلك يشكل الوسيلة الفضلى لبلوغ حقيقة «ماحصل» باعتبار أن هذا البلوغ لايتم إلاّ من خلال الإلمام الكامل بـ «ماجرى» ولايمكن لغير تبئير صفر أن يوفّر مثل هذا الإلمام الكلي. أو كأن الموضوع هنا يفرض صيغة التعبير المناسبة عنه. وفي الواقع يصعب فصل هذا الموضوع عن الحقيقة المتوخاة من وجهة نظر الراوي الذي يتولى عملية السرد القصصي ـ فإذا كان زمن الحكاية يمتد على مدى الأبدية، وإذا كان عالم التواصل فيه ليس تاريخياً فحسب، بل داخلياً وخارجياً، وفردياً وجماعياً أيضاً، فإن اي

اختيار غير منظور التبئير صفر يفشل في الإحاطة به وإيفائه حقّه فالتبئير الداخلي قاصر حتماً، فهو يعجز عن استيعاب هذا الإمتداد الزمني، وإنما خاصة يعجز عن الإستحواذ على ذلك المجموع المكون للعالم القصصي إنه بطبيعته غير قادر على الإلمام إلا بجزء من الحدث، وإلا ببعد ذاتي وحيد فيه. كما أنه مشبوه لهذه الذاتية الفردية فيه تحديداً، والتي تنزع عما يروي طابع الموضوعية المتوخاة للإيحاء بحقيقة المروي. عدا عن أن الطفل، وهو الشخصية الوحيدة الحاضرة، منذ بداية حكاية الحاضر حتى نهايتها، عاجز مبدئياً عن أن يتولى دور الراوي المعتمد في النص. ذلك أن قيامه بهذا الدور في الوقت الذي يفقد فيه النهاية، التي يتوقف عندها القصص، البعد الدلالي المتعدد والمنفتح على احتمالات لاتحدّ، يجعل من مجمل الحكاية تجربة فردية وطفولية موسومة بانطباعية ذاتية هوامية، وينزع عنها العمق التاريخي الذي ترتكز إليه والكثافة الحضارية التي تنضح بها. لكن التبئير الخارجي بدوره، رغم موضوعيته، قاصر عن أداء هذه الحقيقة. فهو في اكتفائه بتتبع مايحدث عيانياً يفوته الإفصاح عن العمق الداخلي والتاريخي للحدث، وبالتالي يعجز عن تحديد مواقع الشخصيات المشاركة فيه والأبعاد الكثيفة للتصرفات الصادرة عنها. ليس لنا إلاّ الإلماع إلى نهاية النص القصصي لتبين مدى تقصير هذه الصيغة، حيث أن اعتمادها لايسمح إطلاقاً بذكر العد الداخلي (في السطر الأخير) ، الذي يجتمع فيه مغزى السير الهادئ للطفل والإنتظام الكلي للنص بأكمله بزخم وانفتاح غير محدودين.

ب - إن كلام الشخصيات في الخطاب السردي قد يأتي محمولاً أو منقولاً أو مروياً، في الحالة الأولى يجري إثبات مقولات الشخصيات بحرفيتها كما يجري عادة في الحوار المباشر (أو في العمل المسرحي)، وفي الحالة الثانية يتم ذكر المقول بصيغة الغائب لا المتكلم، فلا يكون الحديث مباشراً بل منقولاً. أما في الحالة الثالثة فإن فحوى الحديث هو مايعبّر عنه إذ تتم إعادة صياغة المقول بلغة الراوي نفسه.

الملاحظ بدءاً، في هذا النص موضوع البحث، استعانته بالحالات الثلاث المذكورة على تفاوت فيما بينها عددياً، إذ يغلب الكلام المحمول على ماعداه، بوضوح، مقابل محدودية كل من المروي والمنقول. ولما كان الكلام المحمول يدل إجمالاً على موضوعية النص، تبلغ حد تواري الراوي وراء الشخصيات، فإن غلبته توحي بهذه الموضوعيةالتي تسعى إلى تقريب العمل القصصي من الإستعراض والمشهدية. وميزة هذا الخطاب هنا أنه لايأتي في سياق حواري. بل هو أقرب ما يكون إلى التعبير الذاتي منه إلى أي شيء آخر، أو أقرب ما يكون إلى الإقتصار على التبليغ وحده، كما هو واضح وصفه بصدد عزف الشبابة أو ظهور الحاجز الصهيوني. لكنه في الوقت نفسه أقرب ما يكون إلى التوجّه الجماعي، فذاتيته هنا غير منفصلة عن جماعيته، وهذا يفسر عدم مجيئه في حوار من ناحية وتقاطعه فيما بينه كحوار جماعي من ناحية ثانية، وهو يؤدي على هذا النحو دوراً إعلامياً، معلناً في الوقت نفسه عن موقف ذاتي وعن تعريف الآخرين بالوضع الذي نشأ هذا الموقف عنه، وفي هذا الإعلان المزدوج دعوة إلى المشاركة والإهتمام بالشأن المشترك، خيراً كان هذا الأخير (العزف) أم كان شرّاً (الحاجز) كأبرز تعبير على هذا المستوى عن وضع التواصل العام الذي يسود الوحدة البسيطة الأولى بأكملها. أما الخطاب المنقول، فهو خطاب الحرب والإرهاب، تعمه صيغة الأمر التي تفصح عن التسلط الإجرامي لصاحبه. وهو لايعتمد بالتالي حواراً إنه يعلن بطشاً، متعسفاً وقهراً ماحقاً، معبّراً في ذلك عن علاقة سلطوية ساحقة. تتجسد هذه العلاقة إلى جانب احتكار طرف واحد لمنصة القول وفرضه لمقولاته وصرامة لغته، في اجتياح لغة الآخرين وصوتهم.

ج - إن تعيين صيغة السرد في المنظور أو التبئير المعتمد، كما في المسافة الخطابية المستعملة، لايكفي للإحاطة بالفضاء السردي للخطاب القصصي الذي يفترض لبلوغ ذلك تعيين الصوت الراوي رديف الصيغة المشار إليها والوجه المقابل لها في تكوينهما لهذا الفضاء المذكور. وتحديد الصوت الذي يتولى رواية الخبر القصصي أو الذي يقوم بعملية الإخبار في نص قصصي لايقلّ أهمية عن صيغة السرد أو ترتيبه أو سرعته، بل إنه يحتل موقعاً محظياً يتقدم مبرزاً باقي العناصر الجمالية المكونة للنص القصصي الحديث. ويحاول استقصاء وضعية هذا الصوت الإجابة عن السؤال المركزي التالي: من يتكلم؟

نلحظ في «كان يومذاك طفلاً» صوتاً راوياً خارج مغايراً لعالم الخبر. وهو راوٍ مغفل يتولى عملية السرد في النص من بدايته إلى نهايته، في توجّه من قبله إلى مخبر إليه «وهمي» أو قارئ مفترض وهو ما يحدّد خارجيته المذكورة.

كما أنه غير موجود في هذا العالم الخبري الذي يرويه، فهو غريب أو مختلف عنه، وهذا ما يعين مغايرته المشار إليها. إن وضعية الصوت الراوي هنا تتفق تماماً مع التبئير الصفر على صعيد المنظور السردي، ليتاح من خلال ذلك تأكيد الطابع الموضوعي للسرد والتمكن من أداء الحقيقة الكلية للحكاية وإفساح المجال لإبلاغ الموقف المطلوب خارج النص نفسه. لكن اقتصار الصوت الراوي على هذه الحالة لايحول دون النظر في إشارات أخرى لاتعدم علاقة به. ففي الوحدة الثانية الخاصة بالتقطيع الصهيوني، يبقي القائد على حياة الطفل ليس عن رحمة به، وإنما ليكلفه بمهمة تبدو بالنسبة إليه أهم من قتله. فهو يسعى إلى تحويله إلى راوٍ داخل-مماثل للعالم الخبري المفترض به نقلة. يشكل هذا التحويل قطعاً مع الصوت الراوي السائد، خاصة في ذلك الجانب المشترك الذي جمع بين الحالتين اللتين لوحظتا فيه، وهو المغايرة. يتقدم المشروع الصهيوني هنا إذن باعتباره اخلالاً بوضع التواصل الفلسطيني من جهة وبوضع الطفل نفسه من جهة ثانية، في تلك الوضعية الجديدة التي يحاول فرضها عليه: أن يكون راوية إرهاب تحديداً. إلا أن الطفل في الموقف الفدائي الذي ينتهي إلى تبنيه لايعلن رفضه المشروع الصهيوني فحسب، بل يعلن أيضاً الشروع في المقاومة. فلكي يكون راوية إرهاب يجب أن يكون هو نفسه رهباناً، وموقف الطفل الأخير يكسر هذا الإرهاب جذرياً في نفسه، محطماً مشروع الرواية الذي فرضه عليه الإرهاب. إنه اعلان رفض وجودي صارخ لوضعية الراوي من أساسها، مماثلاً كان أم مغايراً، وتفضيل اختيار لوضعية المقاوم الفاعل عليها. فإذا كان الصهيوني حتى حينه يفعل (إرهاباً) والفلسطيني يروي (داخلاً وخارجاً)، فإن الطفل يمضي في موقفه إلى الفعل المقابل (الفدائي المقاوم) ويترك لسواه أن يروي، معلناً بذلك الصوت الراوي الثالث والمتميز: خطواته البطولية الراسخة في مقاومة الصهيونية.

من «عكا» إلى «المنشية» إلى «السميرية» إلى «المزرعة» إلى «نهاريا»، بحر يعجّ بالكلاب المطفأة بالماء. سماء جرداء تحدق في القيعان. علّ طائراً أو نجمة أو صيحة تثقب الريح. من اقصى عكا جاء «كنفاني» يتوكأ على كتاب، يحذره المارة أنفسهم. وثبت أقصوصة من كمّ معطفه كأرنب وحشي وقالت ساحر احذروه؟! من «ابن مقلة» حتى «فكتور جارا» طريق معبّد بالأصابع المبتورة، مدهون بالدم والبكاء. الأحرف أوتار ترن والدم حبر متخثر في الأقلام. من يدافع عن وطنه فليقتطع راية صغيرة من كنفه ويرفعها على شاهدته.

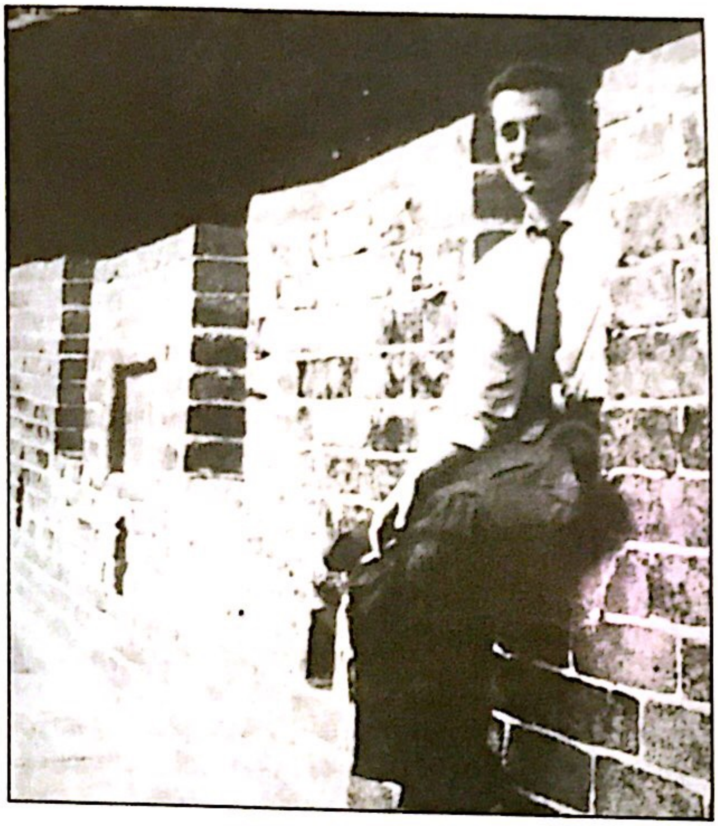
وبقي منه «ماتبقى لكم» و «من قتل ليلى الحايك؟» و «اللوتس الأحمر الميت» وبقي منه أيضاً ما يضارع الحياة في معنى الحضور أنه يوم الخيانة لم يستجب لصهيل الخيول الهرمة. تلك التي طربت للصغير ظناً أن الماء النمير على مَدْرَجة. وما خان وما هان ولا استسلم للمُغريات والوعود والسراب. ظلّ أميناً على العهد، يُعالج ساعة أغيَتْ صَنّاع الفعلة. ولم يحاول قطعاً خلق كائن من عَدَم، وظلّت وحشة الوطن عنده غاية ترتجى ■■

المرجع: «القميص المسروق وقصص أخرى»، سلسلة أعمال غسان كنفاني ١٣.

غسان كنفاني

الإنتقال من زمن الخطابة إلى زمن الكتابة

أيمن الفزالي



هكذا تتراءى لنا ذكراه، دون أن تتجلى لنا مواصلته، لأن أسئلة كبيرة لازالت تؤرق خواطرنا، على امتداد أكثر من ربع قرن، ونحن نتلوى ضائعين، حتى ليدركنا صحوة، فننغمس في حبل الزمن المقطوع، كما اليوم، وهما على حدٍ سواء، إذ لانزال نتداوى للشفاء بإبداعاته، حتى ليرغمنا من قوة البؤس على فعل الأمل، بقدر ما يولد فينا إحساساً بالعجز ووعياً بالقوة وخوفاً من القادم. ولم يكن الوقوع على غسان كنفاني محض صدفة، أو تعسفاً أملته نزعة انتقائية في الإختيار، بل جاءت متطورة مع معرفتي به من خلال أعماله وأثاره الإبداعية الهائلة، للكشف عن كل جوانبه سواء على الصعيد الروائي أو النضالي، لكنني الآن أختصر فيه الجانب الإبداعي فقط بما نلمسه، حتى لانخرج بإحساسنا، فيفلت هدفنا والتي قدمها لنا خلال فترة حياته القصيرة، من خلال تطور الرواية الفلسطينية وكذلك ذكرى استشهاده في السابع من تموز.

إن ما اعتبره مدخلاً لمقالتي هذه هو الإشارة إلى مسألة هامة بداية عن تفرد غسان كنفاني كعلامة روائية فلسطينية متميزة بشكل خاص وكروائي عربي بشكل عام.

وقدرته في حرق الحالة الخاصة للشرط التاريخي الفلسطيني وإنصهارها ضمن السياق الإنساني العام، لقد كرس غسان كنفاني تجربته وقضيته لتكون في السياق الإنساني العام بدلاً من تكريس العامل لقضيته، حتى تصبح «تجربة الإنسان الفلسطيني تجربة إنسانية وفلسطينية في آن واحد» وقد لا أتمكن في هذه المقالة الصغيرة من محاولة الدراسة بقدر ما هي تعريف بغسان كنفاني من خلال إلقاء الضوء على أعماله مقدماً نماذج من تجربته الروائية لتكون دليلاً على إمكاناته الفنية، والفكرية والنضالية، إذ لايمكن فصل هذه الإمكانات عن بعضها، البعض.

علماً أنه كان أكثر تقدماً كروائي، وكاتب، من كونه مناضلاً، وسياسياً. وذلك من خلال ما قدمه لنا من واقع مرير بكل تفاصيله والتعبير عنه ببساطة وبكل حسّ مرهف، باحثاً عن أقصر الطرق وأسهلها لإيصال ما يريد، إلى أكبر جمهور ممكن، على حساب البناء الفني.

إذ أن ما قدمه غسان كنفاني سواء كان مكتملاً، أم غير مكتمل هو مغامرة أو تجربة متفردة بشكلها ومضمونها، انطلاقاً من تحقيق جدلية السياسي والإيديولوجي في صياغة فنية متقدمة.

إن غسان لايكرر، كان همه، مايريد طرحه، بغض النظر عن الشكل والطريقة، كان عنده شيء، أشياء لابد أن تقال في وقتها دون تحريض أو تزوير أو زيادة أو نقصان ودون انذار أو خجل، أو خوف، الذي يمكن أن تولده ظروف النقد والمدارس.

إن الحياة الخصبة التي قدمها لنا برغم قسوتها وعمقها كانت دليلاً على الود العميق الذي تولّده مشاعره تجاه أرضه وشعبه أو صادرة عن أحلام كرّسها عقم الواقع ومرارة المرحلة وعمق المأساة لتتداخل الصور من جديد في جدل مثمر وخصب عن حياة الإنسان الفلسطيني أو ما ينتظره.

يكتب غسان كنفاني إلى غادة السمان يقول:

«إن الدنيا عجيبة وكذلك الأقدار، إن يداً وحشية قد خلطت الأشياء في السماء خلطاً رهيباً، فجعلت نهايات الأمور بداياتها والبدايات نهايات».

هذا الكلام يعكس هموم غسان كنفاني في زمن التردي والإنهيار، زمن السقوط الذي قدمه في كل أعماله بشكل متنام وجدير بالإهتمام والقراءة ففي «رجال تحت الشمس» يقدم لنا

الكاتب حالة العجز، والبحث عن التوازن التي تبصر الكاتب في تعليلها، كخطاب جماعي للصاحين من الهاربين من حالة العجز والفرار، أما في «ماتبقى لكم» وهي من أهم أعماله يقدم لنا نموذجاً من رحلة الفرار التي بدأ الفلسطيني بعد حالة العجز والتخبط التي بدأها في رجال تحت الشمس حين يصبح الهم الخاص هو الأهم حتى الشخصي منه، وإن ما يلفت الإنتباه في هذه الرواية حالة السؤال الذي يحمل في ثناياه مصيراً آخر.. إلى أين..؟!

لتكون الصحراء، ساحة أخرى بانتظار مواجهة أخرى، وجهاً لوجه هذه المرة، وذلك انطلاقاً من قصور الطاقات والأداة، حتى لتغدو أداة التدبير والتقاطع، فيما بعد، هاجساً في بناء ذات منفصلة روحياً عن الأرض، لتبدأ فعلها في الصحراء، إن ما تنتجه هذه الروابط الجديدة سيكون لها موضوعها ومادتها عند الكاتب غسان كنفاني، ففي رواية «عائد إلى حيفا» يحلم بالتحرر مما تنكره السياسة، ليقدم حدثاً جديداً عنصره الأساسي القطيعة التي بدأت تفرز محاورها في مخادعة الذات على نحو مفجع هكذا تبدأ الأفعال وتنتهي الأحلام والهواجس، والطموحات، لأن كل شيء لايبدأ بالأرض ولاينتهي بها سيكون في الذاكرة، سيبتعد، ثم يقترب منها، حتى الموت... (لايكتسب معناه بعيداً عن الأرض).

وبالمقابل فالهرب لايعني النجاة (لأن الهرب تحقيق معادلة إدراك فعلها الخفي). أما في «ماتبقى لكم» يقول:

«... كل أنصال الفولاذ في العالم ليس بمقدورها أن تحصد من فوقك عرقاً واحداً، ولكنها تكسر واحداً وراء الآخر، حتى ليتحول هو ذاته إلى عرق مجهول مشرش، يستقي منك انتصابه وخطواته». في العاشق تظهر علاقة الإنسان الفلسطيني بأرضه، حد الإندماج والتوحد وهذا ما أدركه الكابتن بلاك، الضابط الإنكليزي في الرواية عندما قال لنفسه «إن القبض على الفلسطيني يعني القبض على الأرض أولاً...».

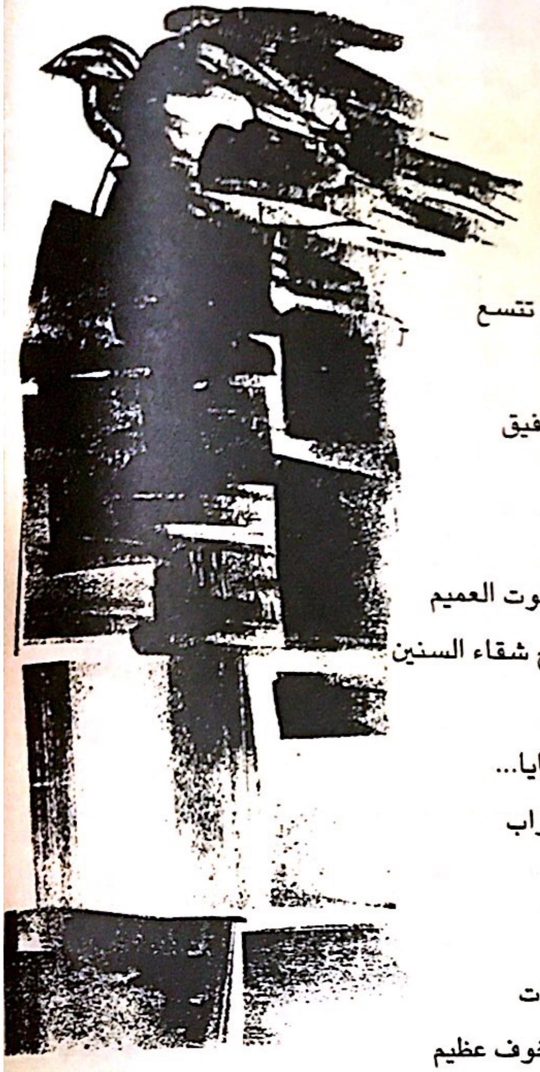
إذن إن غسان كنفاني يجد المعادل الصحيح لكل محاور أو مراحل معاناة الإنسان الفلسطيني، مفتشاً عن حقيقة الصراع وشكل ومضمون المواجهة إن الزمان والمكان عنده كان لهما نفس الأثر في بناء صيرورة الفلسطيني في تحديد تفاصيل حياته وكأنه كان المكان المفقود والموجود معاً الزمن الضائع والرتيب في أرضه الحبلى بأحلامه ذلك أن (الأرض هي ذروة العلاقات الحميمية للفلسطيني مع الأشياء).

إن فقدان الأرض أي المكان يعني الهرب والجري تحت الشمس في صحارى عارية كما في رجال تحت الشمس، وإن إيجاد المعادل الحقيقي المكان «الأرض» والزمان يعيد للفلسطيني عنوانه وهويته في حقيقة المواجهة كما في (أم سعد) لأنها كانت الحاضر، الذي يعني المواجهة ورفض زمان ومكان رجال تحت الشمس التي تعني الماضي والهرب معاً. أين ينتهي غسان كنفاني في رسم تفاصيل شعب بأسره مروراً بالعالم الذي لاحدود لبؤسه وموته.

هكذا ينتهي غسان كنفاني ويتركنا دون بوصلة لإيجاد معادل آخر لظروفنا الراهنة، إن هذا الفراغ الهائل من الروايات التي لم تكتمل بعد يؤكد انطلاقة الكاتب وحقيقة خصوصيته وأهميته فمن أم سعد في ماتبقى لكم إلى رجال تحت الشمس ومن عائد إلى حيفا في برقوق نيسان إلى العاشق، إلى الشيء الآخر «من قتل ليلى الحايك» التي انفصلت لتجسد وقائع الرهان الأكبر في مسيرة الإنسان الآخر، خارج الفلسطيني، لتكتسب عنوانها، قدرته على التفكير في مصير إنسان يعاقب بجريمة لم ترتكبها يداه لكنه ورثها، ويصمت إلى أن تساق رقبته إلى حبال الفزع وأعواد المشانق المنصوبة في صباحات لا تعرف غير الجليد المسعور.. ورائحة القبور وكرنفالات الآس المزفوف على أرصفة لاتعرف الأمان أو النسيان■■

لا توقظ الحنين

تهامة الجندي



ما عادت الدروس تتسع
لخطانا الحالمات
تأخرنا كثيراً يا رفيق
واعتل الكلام
ماذا نقول...
في حضرة هذا الموت العميم
بأي الأكف نمسح شقاء السنين
بأي الحناجر
نغني هذي الضحايا...
... تلك الدروب خراب
كلانا وحيد
والعزلة تهوي
تبتلع آخر الشهوات
والقلب محتجز بخوف عظيم
لم يعد في الأفق منافذ
لالتقاط ما تبقى من نجوم
ظلام يحركنا ويسحقنا وينفينا
قريباً في الجحيم
لا تزعج الخطاة والطغاة
والوشاة إذن...
لا توقظ الحنين..

حوار مع الشاعرة المصرية فابيولا بدوي

فلسطين وطني النازف في صدر وطني الأكبر

حاورها: إدريس علوش

الهدف - المغرب



فابيولا بدوي علامة شعرية تنحت اسمها في صخر القصيدة العربية الحديثة، حول جملة من القضايا: (القصيدة، القضية، فلسطين، مستقبل الشعر..) كان لنا معها هذا الحوار الذي نقدمه لقراء مجلة الهدف، هذا دون أن ننسى أن الشاعرة فابيولا بدوي بالإضافة إلى اهتمامها الشعري، فهي منشغلة بالحقل الإعلامي/ الصحفي، فهي المسؤولة عن أسبوعية «شبابيك» التي تصدر من مالطا... ومن إصداراتها نذكر:

«مهلاً أيها الرجل»، «قصائد ظامئة»، «الوشم»، وهي مجموعات شعرية.. «إرهابيون، ولكن» (دراسة)... تشكيليات القذافي الأدبية (رؤية تحليلية)... «أشلاء الهمس»، (شعر، وهو أخر اصداراتها) ولها تحت الطبع «أنيس العمر» (يوميات)...

□ كيف مسك همس الشعر، ومن أين امتدت هذه «اللعنة» الجميلة إلى أناملك؟

■■ لا أدري إن كان مسني همس الشعر حقيقة حتى الآن أم لا فالعبارة رنانة وتحتوي على معنى كبير، أنا مازلت بعيدة عنه فما أشعاري إلا تعبير عن حالة تحتويني فأعبر عنها ببساطة وعفوية وأتصور أن أمامي الكثير حتى أعتبر أن الشعر مسني، بل إنني أعترف أن محاولاتي للمساس به لاتنقطع.

□ ونحن الآن على العتبات الأخيرة للقرن ٢٠، ومقبلين على قرن جديد نجهل تماماً ما الذي يمكن أن يكون عليه الإنسان في مسالكه ومراحله، ومتاهاته ربما...! كيف تتصورين موقع الشعر في القرن القادم..؟

■■ الشعر يظل دائماً على مكانته بين الشعراء، ومتذوقي الشعر وهم دائماً قلة، أما إذا كان المقصود بمكانته هنا هو مزاحمته للألوان الأخرى من الأدب أو استهدافه للقارئ العادي، فمن المؤكد انه سيتراجع، خاصة وأن القراءة بشكل عام تواجه أزمة، لاتتمثل في النشر فقط، بل في وسائل الإعلام المرئية، فما بالنا بالشعر الذي لايقدره ويتذوقه سوى القارئ المتميز.

□ قد لانختلف إذا قلت لك أن للشعر قضية بحجم اللامتناهِ، وأن الذين يؤمنون بلا قصبة الشعر، فهم كالذين يحاربون طواحين الهواء..! أي تصور تحصلينَهُ من داخل ممارستك الشعرية الإبداعية لنفس الطرح الذي نحن بصدد نقاشه «الشعر والقضية»؟

■■ القضية ليست في رأيي من الشعر أو الأدب بوجه عام القضية أولاً وأخيراً قضية حياتية، ورؤية خاصة جداً للعالم من حولنا، بهذا التصور لن تستطيع الفصل بين قضية الشعر والمحيط بنا من كل جانب، وأتصور أن القضية بهذا المنظور تصبح أولاً وأخيراً انسانية، ينطوي بداخلها كل هموم الأدب ورسالاته ومعطياته أيضاً.

□ فلسطين هي الجرح العربي، كيف عالجت هذا الموضوع إبداعياً وما الذي تتوقعينه من الإبداع للإسهام في إبراز هذا الجرح..؟

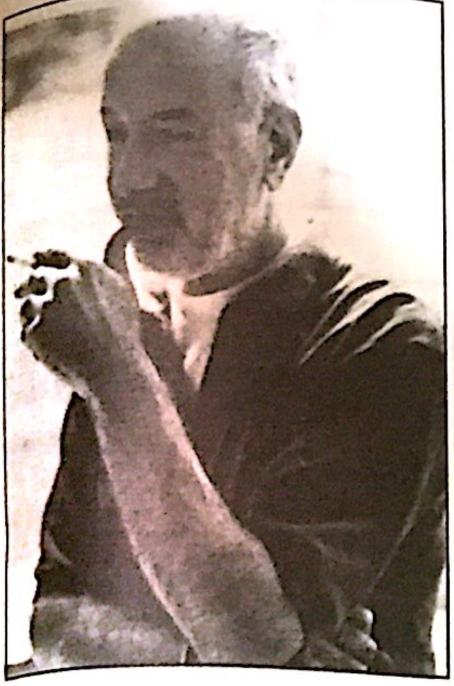
■■ فلسطين وطني النازف في صدر وطني الأكبر، يكويني أناته وكل جزء صغير من قضيته، غير إني حتى الآن لم أكتب بيتاً واحداً عن القضية الفلسطينية، ربما لأنني دائماً أكتب بعدما انفصل عن انفعالاتي تماماً، فانا لا أكتب قصيدة عشق وانا في حالة حب، لأن الكلمات تصير لدي أقل بكثير من انفعالاتي، وهذا شأني مع فلسطين الجرح، أعايشه لحظة بلحظة وأعجز عن الكتابة عنه، ربما انسابت أشعاري لتعبر عن مخزون هائل بأعماقي تجاه القضية الفلسطينية تحديداً بعدما تحل تماماً ويعود الحق لأصحابه، أما عن الإبداع واسهامه في هذا الموضوع فما أحلى أشعار درويش وما أجمل أوتار سميح القاسم، إن كل من يملك القدرة على تطويع قلمه لابد وأن يكتب عن فلسطين وعن أشجار الزيتون وعن جرح لايهدأ.

□ ما جديدك الإبداعي؟

■■ الجديد من ابداعي هو ديواني الذي صدر أوائل هذا الشهر ويحمل عنوان (أشلاء الهمس).

□ حتى لانختتم، كلمة لقراء مجلة «الهدف»؟

■■ سيظل الإبداع بكافة دروبه هو ملاذ الإنسانية الأخير وسيظل الحب الحقيقي لهذه الإنسانية هو أجمل ألوان الإبداع ■■



الفنان التشكيلي مروان قصاب باشي لـ "الهدف":

فلسطين هي "السرّة" التي أخذتها الصهيونية للتسلط على الجسد العربي!

حاوره: علي الكردي

تفتح المبادرة السخية، التي قام بها الفنان التشكيلي مروان قصاب باشي، في إهداء أطفال فلسطين مجموعة كاملة من أعماله التي ترصد تطور تجربته منذ الستينات وحتى الآن، الأبواب، أمام المعنى العميق للإلتزام بقضية فلسطين كقضية ضمير، ووجدان حيّ تعيش في قلب هذا الفنان، لذلك عندما يقول: إن فلسطين بالنسبة لي هي «السرّة» فهو يعني ما يقول، وهو بذلك يكثّف الأبعاد، ويختزل المعاني، بفعل ثقافي وحضاري، ترك انطباعات وتفاعلات إيجابية على مستوى الشارع الثقافي الفلسطيني، الذي يعيش صراعاً مفتوحاً مع إسرائيل على كافة المستويات.

بهذه المناسبة، التقت «الهدف» بدمشق الفنان مروان قصاب باشي، فكان هذا الحوار.

□بداية هل تحدثنا عن أجواء المعرضين اللذين أقيما لأعمالك في رام الله، وما هو صدى تقدمة مجموعة كاملة من هذه الأعمال هدية «لأطفال فلسطين» سيما وأن هذه المبادرة الجميلة هي الأولى من نوعها التي يقدم عليها فنان عربي؟!

■■أنا لم أحضر افتتاح المعرضين بسبب التطبيع، وهذا موقف أخلاقي بالنسبة لي، راح بالنيابة عني، صديقي رئيس متحف برلين وافتتح المعرضين، وألقى كلمة مؤثرة وواضحة تحدّث فيها عن الإضطهاد السياسي والعنصري للشعب الفلسطيني ومعاناته جراء ذلك. ومما نُقل لي بشكل شخصي من ردود فعل حول المعرضين، سواء من التعليقات التي وصلتني عبر الفيديو، أو بشكل سماعي، أو عبر النقل البصري (التلفزيوني) من الملاحظ أن هناك تعطشاً، وحدساً إنفعالياً صادقاً، لاترى فيه التعب، ولا التكرار والتقليد، وإنما انتباه كبير، ووجدان عالٍ تجاه العمل الفني. المسألة لا تتعلق فقط في الهدية، وإنما في جانب التلقي للعمل الفني أيضاً.

افتتح المعرض الأول في مركز خليل سكاكيني الثقافي، وفي اليوم الثاني افتتح الآخر في جامعة بيرزيت في رام الله، ويبدو لي أن جامعة «بير زيت» هي من الأشياء الجميلة التي ليس لها ربما مثيل في العالم العربي، حيث تحتوي على «غاليري» وهو متحف أيضاً ويوجد بها مركز للآثار فيه أشياء هامة (مجموعة أزياء قديمة، ما قبل الثلاثينات، محفوظة بشكل علمي، مع إيضاح وتحليل لهذه الأثواب، ومطرزاتها، والقرى القادمة منها.. الخ) وقد افتتحت بتمويل ثري فلسطيني.

أن تكون هناك جامعة، تحتوي على مؤسسة متحفية ثقافية تعمل بشكل علمي ووجداني متقن وعالٍ، شيء جميل جداً، لأن الجامعة بهذا المعنى تغطي دور الدولة، ودور المتحف، باعتبار ان الدولة العربية حتى الآن ليس لديها الإنتباه الكافي لهذه الأمور الدقيقة التي تحتاج لا إلى الموظف في المتحف، وإنما إلى الخبير، وقد لاحظت أن هناك أشخاصاً في «بير زيت» يقومون بهذا العمل، ليس بشكل وظائفي، وإنما بحب وعلمانية وعالمية، لذلك قد تكون اللوحة، أو الأثر الفني في متحف جامعة من هذا النوع له حماية أكبر، وصدى أكثر وإمكانية للتلقي أفضل.

□هل سمعت ردود فعل اسرائيلية حول إقامة المعرضين باعتبارهما شكّلا تظاهرة ثقافية كبيرة في رام الله. ألم تثر هذه الظاهرة انتباههم أو تحفظهم الخ...؟

■■بدأت تكتب الجرائد، ما جاءني إلى عمان أن هناك خوفاً على مقاطعتي في ألمانيا، لأن تسلّط الصهيونية - كما هو معروف - في أوروبا والعالم تسلّط كبير، وخطير.

هذا الأمر لايهم وفي الحقيقة عندما رجعت إلى ألمانيا سمعت الإتهام الجانبي الأول، كان لي شبه اتفاق مع متحف لعرض بعض اعمالي ولكن صاحب المتحف توجّه إلى صديق لي ليسأله «سمعت أن مروان لاسامي، ويكره اليهود، ومتعصب». هذا هو الجانب الاخر من الموضوع.

ربما، يكون هذا العمل قدوة لآخرين في مجالات كثيرة. لأن المسألة هي الضمير العربي أمام قضية فلسطين. والحقيقة أن فلسطين بالنسبة لي هي «السرّة»، السرّة العربية التي أخذتها الصهيونية للتسلّط على الجسد العربي ومن الخطأ القول: إن المشكلة في فلسطين، وأنها لاتهمنا كثيراً سواء كان ذلك في المشرق أو المغرب، لأن فلسطين تمثّل الضحية الأولى، أو الجسر الأساسي الذي تتسرّب الصهيونية من داخله للتسلّط على الجسد العربي، ونعرف الآن أن ذلك التسلّط لم يعد التسلط العسكري







فقط، لأن الصراع ومجرى التاريخ، ما هو إلا المجرى الإقتصادي، وإسرائيل والصهيونية تحاول السيطرة على الخريطة العربية اقتصادياً وبشرياً، ويجب أن نعترف أنها سباقة في كل المجالات، ونحن نعرف أن اتفاقات اسرائيل مع الصين بالبلايين، وهناك اتفاقات لها أيضاً بالبلايين لتسليح الجيش التركي للسنوات العشر القادمة، وأنها سباقة في الصناعات الإلكترونية والأسلحة، وأنها مصدِّرة إلى نصف العالم تقريباً أو أكثر، إذن هناك أمور خطيرة جداً. لذلك أرجع لأقول: إن الرأي العام البسيط، الساذج الذي يعتبر أن الفلسطينيين مسؤولون عن قضيتهم وأنها لانهمنا رأي خاطئ فالحلم الصهيوني هو السيطرة على الجسد العربي وعلى الشرق، وربما على العالم. وحتى أوضح الأمر، فالمسألة ليست مسألة الإنسان اليهودي لأن هناك من هو مضطهد في إسرائيل من اليهود وخاصة يهود الشرق أو اليهودي الفقير. ربما إنها واجهة من واجهات المشاكل الكبرى الإنسانية أولاً مشكلة الإنسان الصهيوني، مشكلة الإنسان اليهودي، ثم تلك المشكلة: السيطرة على حاجات العالم.

علاقة الكلمة بالصورة

□لندخل أكثر في عالم الفن.. قيل الكثير عن علاقة الكلمة بالصورة، أو اللوحة التشكيلية بالتأويل الأدبي، وأنت علّقت سابقاً في ندوة أنيت في العام ١٩٩٦ في دمشق على هذه المسألة، ومنذ اسابيع كان هناك ندوة بين فاتح المدرس وأدونيس حول هذا الموضوع، نرغب في سماع وجهة نظرك بالمسألة؟

■■أبدى في الحقيقة أدونيس جهداً كبيراً في إيضاح بعض الأفكار الأساسية، ولكن الظروف لم تكن جيدة لتسمح له بتطوّر تلك الفكرة الأساسية والهامة في الوطن العربي، ولنقل في دمشق.

إنها فكرة عامة في العالم (رؤية اللوحة، وأدبية اللوحة) إنها ليست أدبية اللوحة، وإنما حرفية اللوحة، أو كلمة اللوحة، أو وظيفتها لقد أُهمل هذا الموضوع من الجانب الآخر ـ للأسف الكبير ـ

أتصور أن الإنسان فهم العالم في طفولته الأولى، بالصورة، بالشكل وبالكلمة. الكلمة لم تكن واضحة، لأنها كانت تعبيرات حياتية عن مواضيع أساسية كالصيد (أي حاجة الإنسان الأساسية للطعام) ثم الجنس، ثم علاقة هذه الأشياء بقوى غريبة، إلهية، كانت رمزاً حيوانياً، ولذلك نرى صور الكهوف الأولى جاءت ما بين الكلمة، الحرف، مابين الصورة.. ثم تطورت مع الزمن، حتى جاء الحرف، وجاءت الكلمة. واصبحت علاقة الإنسان بالحياة هي العلاقة الوجودية، هي الكلمة. عندما يقول: اجوع، اريد ان افهم، احب، اتالم.. كل هذه الأشياء ليست على درجة الأدب أو الشعر، وإنما درجة من الحياة اليومية والوصفية كي تعبر عن حالة، أو تروي قصة...الخ

إذاً أصبحت علاقة الإنسان، علاقة كلامية، وليست علاقة صورية، لذلك نحاول غالباً أن نفهم اللوحة من خلال الكلمة وعندما تستعصي علينا نقول: إننا لانفهم هذه اللوحة، أو ربما اكثر من ذلك نقول: إنها لوحة سيئة، وهذا سلاح ذو حدين إذ يلجأ البعض إلى غموضية ليست ضرورية ليعتبر نفسه فناناً تقدمياً، طليعياً ولكن ليس كل شيء غامض هو طليعي وتقدمي هذا وجه، أما الوجه الاخر فهو أن يكون للوحة، أو للصورة لغة أخرى شبيهه بالكلمة، لكن لاتفهم عن طريق الكلمة، وإنما عن طريق الحس، لغة بصرية خاصة، وفهم هذه اللغة، ليس متاحاً بالضرورة للجميع، إنها منحة، أو نعمة إلهية قد يتمتع بها بعض الأشخاص وليس شرطاً أن يكون هذا الشخص مثقفاً فربما يكون إنساناً بسيطاً يتمتع بالقدرة على التحسس في الكلمة، أو الصورة، أكثر من الإنسان المثقف.

قد يستطيع المثقف أن يروي، أو يتكلم لكن إلى أي درجة دخلت تلك القصيدة أو تلك الصورة أو ذلك اللون وجدان وضمير هذا الإنسان؟

كان من الممكن لأدونيس في تلك الجلسة أن يتكلم أكثر عن هذه القنوات. قنوات الكلمة وعلامتها الحياتية، التعبيرية، اليومية. ثم قنوات الصورة، ثم ذلك الإختلاف في الشخصية الضرورية لعملية التلقي سواء للكلمة أو للصورة.

□هل يمكن أن تكون ثقافتنا الشفوية، وحبنا لتأويل الكلام السبب في هذه المشكلة. بمعنى لو كان لدينا ثقافة بصرية، وعين مدرّبة على قراءة اللوحة، ألا نستطيع تجاوز هذه المعضلة؟!

■■هذه المشكلة في الحقيقة موجودة في كل العالم وحسب تجربتي المشكلة نفسها موجودة في أوروبا بالضبط. الفارق هو فارق إحصائي فقط، هناك قد تجد تجارب تاريخية حضارية

مستمرة، بسبب مستوى التعليم، ووجود المتاحف بالدرجة الأولى، والكتب، لذلك أقول: الفارق إحصائي. العدد ربما يكون أكثر قليلاً من العدد الموجود هنا، لكن أتصور أن هناك استعداداً طبيعياً عند العرب بسبب المنطقة الجغرافية، فالإنسان الشرقي، إنسان حسي بالدرجة الأولى، وهذا يعني أن ارتباطه بالأشياء هو ارتباط ضميري، أخلاقي، إلهي، ومن الأشياء التي نعرفها في حياتنا اليومية: التأمل في المنظر.. التمتع بالياسمين.. الخ.

نحن نميل إلى العاطفة وارتباطنا الحسي بالعالم، ارتباط أساسي ووجودي. هذا بشكل عام، إذ لايوجد شيء قطعي، لكن ـ للأسف ـ الظروف الصحيحة غير متاحة، لأنه لايوجد متحف، ولا «غاليري» جيد، وليس هناك إمكانيات علمية على استقطاب وجلب الناس. إن عدم وجود أستاذ.. ومكتبة، وغياب الظروف الموضوعية المناسبة لاتمكّن الإنسان العربي من الوصول إلى الصورة التي تمكّنه من الفهم، بهذا المعنى الغرب ليس أفضل منا.

□إن وجودك الطويل في الغرب وتحديداً في ألمانيا يدفعنا إلى السؤال عن مدى تأثرك بالثقافة والفن الغربي، رغم حفاظك على الجذور، والنكهة الخاصة، نحن قرأنا الكثير، عن تأثرك بالمدرسة، التعبيرية الألمانية ما هو تعليقك؟!

■■مسالة الفن والإبداع الفني، مسالة خاصة، مائة بالمائة. ثمة ظروف معينة قد تساعد في إظهار فنان عظيم في فترة تاريخية ما. هذه مشكلة خاصة. لكن ماذا يخلق الفنان؟! وماذا يبدع؟! هذه قضية ليس لها جداول عامة.

بعض الأدباء، أو الفنانين، ربطوا مصيرهم بمصير مدينة ثانية وحضارتها وهناك فنانون حاولوا الربط بين حضارتين، وفنانون اعتبروا أن حضارتنا هي الوحيدة المتميزة. إن التاريخ وحده هو الذي سيحكم على ظهور فنان مجيد في بلد معين، أو مدينة معينة، وهذا قد يحتاج إلى خمسين أو مائة عام. نحن لانستطيع أن نحكم الآن، أو بعد عشرين عاماً إن تقييم نذير نبعة مثلاً يحتاج إلى ثلاثين أو أربعين عاماً.

ما يُقال: حول تأثري بالتعبيرية الألمانية خاطئ. البعض يقوله ببراءة والبعض يقوله بخبث.

من يقُله ببراءة، يقصد أنني أعيش في ألمانيا، وهناك توجد التعبيرية الألمانية وأنا أخذتها من هناك، لكن من يقل ذلك بمكر يرد أن يلمح إلى أحقية الفنان العربي الذي ارتبط بقضيته ووطنه أكثر من هذا الإنسان الشارد، الذي أخذ بقايا حضارة ألمانية، بعد أن ترك وطنه وبلاده، إن لهؤلاء الأحقية الكبرى على



أساس أنهم الفنانون العرب الذين ارتبطوا بالمنظر، بالقضية، بالحرف، بالتراث، باللون...الخ.

التعبيرية الألمانية هي مدرسة خاصة جداً، ظهرت في ثلاث سنوات، أو أربع أو عشر. في العام ١٩٠٦، قام بها زمرة من الشباب ربطوا فنهم بالفن الإفريقي (التمثال الإفريقي، الطوطمية، الشبق، واصول الجنس والموت والحياة والعطش...) أنا لم أرتبط بهؤلاء قطعاً.

أما التعبيرية بشكل عام، فهي موجودة في الأدب والمسرح والتصوير وليست فقط في هذا القرن.. إنها: تعبير، والتعبير غرض أدبي، أو فني موجود في التعبير، إذا غالى الرسام أو الأديب في هذا المجال تظهر تعبيريته. هناك إشارات وأسباب أصيلة في الأعوام (٥٥-٥٦-٥٧) وهي الأعوام التي شهدت فيها أعمالي النضوج الشخصي الأول، أو الجنين لما عملته لاحقاً. إذا نظرت إلى هذه الأعمال وهي موجودة في كتاب (رحلة الحياة والفن) لعبد الرحمن منيف، تجد أن ذلك الجنين جاء وتكوّن في دمشق.

ويمكن الإشارة ـ كما يقال ـ بالإصبع، وليس بالكلام إلى هذه اللوحات. وكم أتمنى أن يكون هناك حوار بين لوحات الخمسينيات التي رسمتها في دمشق ولوحات الستينات، ثم (الماريونيت) الدنيا، التي رسمتها في أواخر السبعينات، ثم الوجوه العامودية الوتدية التي أرسمها هناك.

إن لها أشباهاً، لها أطفالها في ذلك الوقت، فهناك مثلاً، لوحة (المستحمة) في وجوديتها، وفي اختصار اللون، ثم في التأكيد على بقع شكلية، نباتية، معمارية واضحة، دون تزويق لوني وتراقص مع الفرشاة، ثم إذا أخذنا لوحة (بنت آمنة) في جلستها، وهناك لوحة (الصديقتان)، أو (العناق) وكلها أنجزت في العام ١٩٥٧، لوحة (الإبريق) في العام ١٩٥٦ وكلها موجودة في كتاب (رحلة الحياة والفن). توجد نظائر لتلك اللوحات في أعمالي اللاحقة. (العناق) كُررت في العام ١٩٦٧ في عدة لوحات. أصبح هناك لولبية مستمرة كانت قد بدأت في دمشق، ثم سمح لي (ربما) المجتمع البرليني تحديداً، وليس الألماني (لأنني لم اخرج من برلين) أن أؤكد على هذه الاشياء.

أنا كنت واحداً من شخصين أو ثلاثة ارتبطت بهم برلين، لكنني لم آخذ عنهم وتلك الشهادة (أؤكد عليها) جاءت من دمشق. في لوحة (الإبريق) ثمة اختصار للشيء بشكل شعري، ولكن ليس بوصف أدبي. ثمة لونان (اصفر وبني)، ثم تلك العين الوسطى في الإبريق. لقد سمحت لي العقلية الألمانية أو السوداوية الألمانية أن أتابع تلك الطريق التي بدات من دمشق.

□الإنسان حاضر دائماً في أعمالك، تختزله عبر الوجه الذي تشتغل عليه بمنظورات عديدة تنفتح على كافة الرؤى التي تتحدث عنها؟

■■ارتبط الإنسان (الوجه، أو الرأس) بالضمير. ارتبط باللحم والبهاء، ارتبط بالمادة، بالختمية، والتربة، والصلصال. بالجبال وبكل الأشياء الموجودة هنا.

عندما أرسم بالفرشاة اشعر بتلك اللذة اللونية. ثمة بقع لونية فيها ملايين الألوان. فيها الجمال والزهو وفيها.. وفيها.. كأنما تبحث عن نبعة خضراء في ذاك السواد، تبحث عن لون قادم من هذا السواد، قادم من جسدك. ثمة ارتباط بين الفكر والجسد والحس. هذه مسالة صعبة جداً. بمعنى كيف تأخذ بصمتك الخاصة. أنا لا أبدّل ألواني حسب روح الزمن وحسب الموضة. بالنسبة لي أتصور أنني مازلت أحافظ على محاسن البداوة. اللوحة بالنسبة لي قضية حياتية، وليست إعراب بيت شعر. إنها معاناة يومية. في حديث طويل بيني وبين أدونيس قال لي بما معناه: إنني طلعت من صف الحياة حتى أساوي الحياة بفني فكان السؤال بعد هذا الحديث: إن هذه اللوحات هي تعويض عن الحياة نفسها، وهذا موضوع شخصي جداً.

التصوّف في الفن يختلف من فنان لآخر. إن رساماً في منتهى العظمة مثل (موندليان) مثلاً أخذ المسألة بشكل عقلاني. الفنان الأمريكي (روسكو) تصوّفه، تصوّف مختلف عن طريق السطوح اللونية، إذا نظرت إلى سطوحه تشعر أنها بسيطة جداً، لكن إذا جلست معها لعدة ساعات تشعر أنك مرتبط معها بارتباط إلهي،

أنها تفرض نفسها.

وجودي في برلين قرّب لي وطني وطفولتي. قرب لي الأصول التي نبت فيها، والتي مازال النبع الأولى التي أنهل منها.

الذاكرة الطفولية هي التي تحركني، فيها الشوق وفيها الوجد.

□ثمة تأملية صوفية عميقة للأشياء التي تذكر؟

■■اللحظة الوحيدة، التي كانت بالنسبة لي ماثلة في دمشق ومازالت، ضريح سيدنا الحسن، وبعض النساء اللواتي قبّلن الضريح، ومن خارجات شاهدت دموعهن الحارة، وكأنها تعود إلى عصر سيدنا الحسن. ثمة تاريخية للألم والعذاب، وهي مرتبطة أيضاً بالوجد هذه بالنسبة لي مصادر أساسية: شوق اللوحة، ووجدانية اللوحة، أو الخيال، وأقصد الخيال الفاعل وليس اللحظة التأملية مع (أركيلة) أو سيجارة على السطح. إن هذه اللحظة كأنها نحت في صخر، هذه عملية خلق اللوحة، فأن تكون اللوحة قضية ضرورية للعمل الفني هي مسألة أخلاقية.

إذا لم تكن ضرورية على الرسّام أن يعدمها أو ينفيها.

□في بعض أحاديثك تصف الحالة، الطقوسية لمادة الزيت التي تتعامل معها، تتحدّث عن رائحتها التي تذكرك ببخور الكنيسة ما الذي يمكن أن تقوله عن هذه العلاقة؟

■■إنها علاقة إيروسية، حسية، عندما تمشي في المساء بالشارع وتشم رائحة الياسمين فهذا يذكرك أحياناً بطفولتك عندما كنت مع أمك، وفجأةً رفعت إمرأة المنديل عن وجهها، نظرتَ إليها فشاهدت عينين هائلتين تركتا شعوراً خاصاً لديك.

رائحة الزيت والتربنتين رائحة خاصة، لأن التربنتين يصنع من مخلفات شجر الأرز، أو ما يشابهه من الأشجار الحرشية وهناك بعض الأصماغ التي يتحوّل بعضها إلى بخور. الإرتباط الحسي باللون، ورائحة اللون ماتزال موجودة وتخلق لي هذه الحالة الطقوسية الخاصة، التي ليس لها علاقة خاصة بالكنيسة. طبعاً، غالباً البخور في الكنيسة أو طاسة الرعبة، مسائل لها علاقة بالوله بالشيء، أو بالفيتشية. هذا الشيء أشعر به في رائحة الورق. هذا الورق الرائع الذي انتقل عبر حضارات التاريخ. كتب فيه ابن رشد، وابن خلدون ومن قبلهم ومن بعدهم من الشعراء والكتّاب الكبار.

علاقتي بالمواد التي اشتغل فيها علاقة وجدانية عميقة وليست حيادية■■

محمد الماغوط

خارج السرب

سميح البرغوثي



عاد محمد الماغوط إلى المسرح بعد إطلالته الأخيرة عام ١٩٨٨ في مسرحيته «شقائق النعمان» مع المخرج والممثل دريد لحام الذي جمعته معه تجربة أربع مسرحيات هي: غربة، ضيعة تشرين، كاسك يا وطن، وشقائق النعمان. بعد أن كتب له المسلسل التلفزيوني «وادي المسك» وفيلمي التقرير والحدود. ليختلفا بعد ذلك على الحدود الفاصلة ربما بين موهبتيهما الإبداعية وعلى ثمن الشهرة، أو ربما على مقدار الربح لكل منهما منها!!

وهكذا وبعد صمت دام عشرة أعوام فصل «شقائق النعمان» عن «خارج السرب» يعود الماغوط بنص لايبتعد بروحيته عن نصوصه السابقة، وإنما في مرحلة ابتعدت كثيراً عن اعتبار ما كان كوميديا مرحلة.. مرحلة راهنة، ليكون النص بنقده اللاذع لكل سلطة، لكل ظلم، هو روحية الماغوط التي طالما اشتهر بها، وكان جماهيرياً حتى بين النخبة الثقافية لكن بلجوئه إلى القفشة، وإلى توليد الفكرة السياسية مع فكرة بسيطة ما: إقحام للقول وتحميله ما يرهق الشخصية التي تحمل هذا الدور.

فجولييت لاتنسجم مع الدلع والسياسة والوعي والموهبة والملابس. لكن ليكون الماغوط بذلك جريئاً حتى الحدود القصوى في العبث في المجالات التي تحقق له أبعاد فكرته.

والماغوط عاد بعد عشرة أعوام في فضاء فرقة جديدة، ليست «ضيعة تشرين» وفرقة «نهاد قلعي» وإنما «فرقة محمد الماغوط» ليحلق خارج السرب مع دم جديد من الشباب.

أخرج المسرحية المخرج والممثل جهاد سعد الذي نفذ عمل الماغوط بإخلاص شديد، وبحب ظهرت نتائجه على المسرح.

وتجري أحداث المسرحية مع مخرج مسرحي يعود من الخارج (عابد فهد) وهو مخرج جوائز ليحاول تحقيق رائعة شكسبير روميو وجولييت. وما إن يبدأ العمل حتى يدخل مندوب مُرسل من قبل لجنة تطوير المسرح الذي ارسلته الجامعة العربية من أجل متابعة مجريات تطور المسرح العربي. فيتدخل في سير المسرحية ليقلبها رأساً على عقب وليرفض في هذا العهد الذي يبدأ فيه الجميع يتصالحون القطيعة القائمة بين أهل روميو وأهل جولييت، ويفرض على المسرحية مشهداً تتم فيه المصالحة بين العائلتين. وتتزوج جولييت من روميو.

ويتمكن المخرج المندوب من إزاحة المخرج الأساسي للمسرحية (عابد فهد) عن العمل، ويبدأ هو بسبك الأفكار وإخراجها «مسرح داخل المسرح» ويغري جولييت بوعدها بالمال، ويطرد روميو.. ويقحم المنصة بأعضاء اللجنة الذين جاؤوا معه.

الديكور الفقير، البارد، والمسرحية المقحمة، مسرحية المندوب القاسية.. تشويش المنصة.. بفوضى بشعة أرادهاالماغوط عنصراً لبناء وخدمة فكرته.

والماغوط المتفرج في المقاعد الأمامية، والذي خرج من عزلته الطويلة إلى لحظة استثنائية بالنسبة له.. نال جائزته من جمهور المسرح السوري النخبوي والجماهيري، الذي ملأ مقاعد مسرح اتحاد نقابات العمال بدمشق، وتفاعل بقوة مع مجريات المسرحية.

وسِحره السابق في الشعر.. لايزال يميز علاقة الجمهور به، ومكانته النادرة التي رغم بعده الطويل مازالت محل اعتراف الجميع. وبداية «هو» أي رصيده الكبير من الموهبة لايزال مصدر قوته الأساسي. وهو ما تؤشر عليه لحظات كثيرة قوية في عمله الأخير المسرحي هذا■■

عودة حميدة لمؤسسة فرح

طفولة سعيدة ومستقبل باسم



بمناسبة الأول من حزيران يوم الطفل العالمي دشنت مؤسسة فرح الفلسطينية انطلاقتها الجديدة وعودتها بإحياء حفل للاطفال بعد انقطاعها عن العمل لفترة بسبب الظروف المالية، ومؤسسة فرح هي مؤسسة فلسطينية تأسست عام ١٩٨٨، تربوية اجتماعية - رياضية تحت شعار طفولة سعيدة ومستقبل باسم، ويتبع للمؤسسة عدد من رياض الأطفال ومشغل للتراث ونادي غسان كنفاني الرياضي.

وفي عيد الطفل دعت المؤسسة للإحتفال بهذه المناسبة في قاعة الشهيد غسان كنفاني وافتتح بكلمة المؤسسة ألقتها الزهرة هديل الرشيد، ثم ألقى الدكتور عدنان عبد الرحيم كلمة الهيئة الفخرية المشرفة على المؤسسة، ثم قدم اطفال المؤسسة فقرات تراثية راقصة، واسكتشات غنائية، ومجموعة من الأغاني قدمها الفنان غسان السعدي للأطفال، بعد أن أهدى أغاني شريطه الجديد للمؤسسة. وقدم للأطفال عرضاً لمسرح الدمى، تميز بأن الأطفال أنفسهم قاموا بصناعة الدمى والعمل فيه.

أخيراً حضر الحفل عدد من كوادر الجبهة الشعبية وممثلون عن رياض الأطفال واليونسيف والأهالي وعدد كبير من الأطفال.



قصة قصيرة

الرجل الرمادي... والذكرى

أيمن محمد



ـ مرة أخرى.. حتى على هذا السرير الأصفر تتحكم الكلمات به، تجعله ينتفض هارباً من هذه الهالة التي تحيطه... ينفر من نظرات الشفقة التي تلفه.. يُكفن رأسه هارباً من ترانيم الموت. وبين هذيانه وصحوته يطلق صرخة لا تصل إلا لمسامعه... ليعود إلى تلك الهالة والتي هي أشبه بكثبان تلتف حوله، تدفعه نحو الأعلى. وفي ذات اللحظة يتأرجح على سلك مشدود وكأنه بهلوان سيرك.. قابل للسقوط في أية لحظة.

***

بينما كانت تراقب دقات أنفاسه الأخيرة غاب في غياهب ذكرى النعش الذي يحوي جثة بلا كفن، وراح ينبش بين طيات هيكله على القبعة التي جعلته نبياً.

ـ ان الوعود التي ألزم نفسه بها، هي التي قادته إلى آخرته قبل أن يبدأ... جعلته يذرف دمعه بصمت.. تلك الوعود نطق بها وعيه الخائف الذي سكنه حين مضغ تاريخه العلقم. وحين تعرف على رموز تزني بالكلمات تجعل البحر طحيناً.

وبعد أن التصقت بذوره في وهم المبدأ، بعد أن وسموا على صدره حكمتهم المخدرة «الصبر مفتاح الفرج» راح ينشد في الظلام، يبني خياماً بلا نار على أرصفة الأحلام.

الآن وبعد فوات الأوان، اكتشف بأن تاريخه لا يعترف به، لا يؤمن بأن الأرض تدور، بل هي شمال وجنوب. وهذه الأرض التي هي تحت موطئ قدمه لا تعترف إلا بجدران صامتة، تزينها صور ناطقة.. تتحسر على يدٍ تتناول مفتاح البيت العتيق. على كل حال.. تلك الكلمات التي وعاها، نطقها وليس بناطقها، التصقت به، صبغت وجهه، عوجت لسانه... جعلته يبحث عن أي شيء... مبدأ يلتزم به او عيون يتعلق بها، ليجاهد سانحاً من أجل رسم وطن بلا جدران...

ـ هكذا تاهت مرساته إلى أن رست في ذلك المكان، حيث تحول إلى انسان آخر.. في هذا المكان كانت الشمس تشرق من الشمال... هذا المكان الأسطوري صنع قلمه، رسم شكله، صبغ لونه.. لكنه لم يستطع أن يحدد من هويته شيئاً سوى أنه دعاه بالرجل الرمادي.

ذاك المكان بعث إلى قلبه آهاتٍ مجروحة، أثار في عيونه اشارات تعجب واستفهام! جعلته يحلق في سماء لا تعرف سوى المطبات.

أصبحت أيامه كلها خريفاً... ألوانه الرمادية تجعله يضحك حين لا يستطيع البكاء.. يرى نفسه ياسمين، يُشرق مع أول شعاع أمل إلى أن تأتي نسمة ظل فيسقط... ليتلذذ بتلك النشوة التي يشعر بها الميت عند احتضانه التراب، نافثاً غبار الأرض مردداً سؤاله الخاص «هل تحلق الروح فوق القدس حين تقبض؟!... أو بلغة ألطف حين يُسرى بها!..».

ـ في ذلك المكان حاول أن يكون شخصاً آخر، هرب من قطيع اللاجئين... رفض بكاء الناي، صرّح بحقده على بعض الأشياء «بالناي والدعاء لا يأتي الانتصار... ومن الرفض تولد الأشياء...».

بقي يرفض كل معقول.. يتعلق بالمجهول الذي لعله يأتي بالحلول.. حتى التقط وميضاً.. عيون ناعسة.. حطمت أساطير الأولين، سرت به إلى معابد البندقية، جعلته يكتشف حقيقة ضعفه حين رسم لوحةً تضم طيفها على أبواب الأقصى تحت أجراس القيامة. وضعفه هذا نتج عن عدم استقرار الطين الذي كونه.. أي ضعف ارتباط تراب الشمال الذي صبغه مع تراب الجنوب الذي نسجه.

ومن هذه الحقيقة راح يهذي مناجياً طيف الحبيبة:

«آه يا حبيبة الروح، كم كنتِ لي أملاً.. وكم حبك اتهمني بالجنون حين قررتُ أن تكوني وطني!

عذراً حبيبتي... لم تكوني يوماً وطني.. ولم أكن يوماً شاعراً... فوطني أرض وماء، سماء وهواء، أحلق به بلا خوف... أحرث أرضه بلا شفقة، أذرع بذوري فيه دون توسل... وحين أتعب أسلمه رأسي بلاخجل! ملاذ وجودي وشقائي... «من يشتري كفني بلا ثمن».. لقد تمنيتك قنديلاً أحمر، قديسة، ترشدني نحو حل تائه... تفرش درب الجنوب وروداً، تزيل الصدأ عن بندقية تزين الهامة.

عذراً حبيبتي... كنت دوماً تأتيني بالخوف، تنعتني تلك الكلمات التي تميز نبوتي... بعد الآن ـ لن تسمعي صهيل أحزاني ـ ولن ـ أتلو آيات الموت والياسمين.

بعد الآن ـ سألملم نبضات قلبي أن خضت سواكِ ـ لأن لي في الذكرى عبرة، فلن أنسى كيف تلونت بألوان الخريف حين انتصرتُ مرة.. وسقطت كأوراق شجر في بركةٍ راكدة..

لقد اهترأت.. أصبحت بالياً، لا نفع لي في هذا المكان. لذا قررتُ اغتيالك بالسفر وحجزت تذكرتي باحثاً عن طفلي الشريد لألبسه ثياب النبوة، عباءة وبندقية».

ـ نعم.. بعد الآن لن يعود يمتطي صهوة القلم، لن يعبث بأوراق التاريخ الأسود، ولن يغفو عن الحقيقة. ولن يتلون بأي قرار.. لن يخط رسالة بلا عنوان.. ولن يخلع القبعة..

لقد نفض عن كاهله عبء الرجل الرمادي، انه الآن نورس راحل، حاضن بين طياته شفاهاً خمرية.. هارباً من ذكرى المكان إلى ذكرى الزمان.. ذكرى الاغتصاب.. باحثاً عن كل شيء، عن برتقالة لا تعتصر، وحجر لا يساوم، وبندقية لا تصدأ ■■

المشروع «الشرق أوسطي»
أبعاده ـ مرتكزاته ـ تناقضاته



عن مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (أبو ظبي) صدر للكاتب الفلسطيني ماجد كيالي، كتاب عنوانه: «المشروع الشرق أوسطي»: أبعاده ـ مرتكزاته ـ تناقضاته.

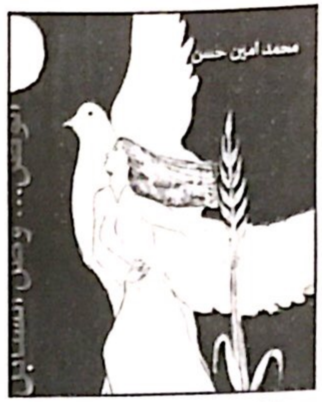
في دراسته هذه، يعتبر الكاتب بأن المشروع «الشرق أوسطي»، محاولة جديدة من قبل الامبريالية الأمريكية، لاعادة ترتيب الخارطة الجغراسية للمنطقة العربية، لتعميق تجزئتها والسيطرة عليها، وترسيخ وجود الكيان الصهيوني فيها، بدفع من المتغيرات الدولية والاقليمية، وعلى خلفية عملية التسوية، ويرى الكاتب ان هذا المشروع تحيطه تناقضات عديدة، لأنه لا يعبر عن التطور الطبيعي في المنطقة، ولأنه يجري فرضه بشكل قسري، ويرى بأن هذا المشروع لن يكتب له النجاح لأنه يتناقض مع طبيعة اسرائيل ودورها السياسي ـ الوظيفي باعتبارها دولة عنصرية ـ غريبة في المنطقة، كما أنه يتناقض مع مصالح وأولويات الأمة العربية.

والكتاب هو محاولة في التفكير السياسي إزاء ما يعترض الأمة العربية من تحديات في هذه المرحلة من تاريخها. وهو يقع في ١٨٨ ص من القطع المتوسط.

يذكر أن الكاتب ينشر دراسات ومقالات في عدد من المجلات والصحف العربية وله كتابان آخران هما: «فلسطينيو ٤٨ والانتفاضة» (اصدار دار نشر شرق برس ـ قبرص ١٩٩١)، و«التسوية وقضايا الحل النهائي» (اصدار مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ـ بيروت ـ ١٩٩٨).

الوطن... وظل السنابل

صدر حديثاً عن دار حطين للدراسات والترجمة والنشر



بدمشق ديوان للشاعر الفلسطيني محمد أمين حسن تحت عنوان: «الوطن وظل السنابل» قدم له الشاعر صالح هواري الذي قال: «لقد أطلق الشاعر محمد أمين حسن الفنان لخياله ليتحرك كما يشاء في فضاء التعبير الرحب مبتعداً عن الوزن التقليدي فجاءت قصائده طيوراً تخفق على أغصان خضراء، بعيداً عن الأقفاص التي تخيف العناصر ببلادتها وعتمتها..».

الديوان تضمن ١٣ قصيدة جديدة منها قصيدة: «لاجئون» التي قال فيها الشاعر:

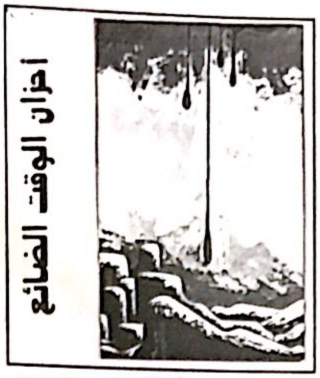
بالقلوب الذبيحة أمتطي..
موج البحر..
في محيانا.. نبضاتك
وفي القلب..
لا الطوفان.. يرعبنا
ولن تنفد منا.. جعبة الصبر.

الأرملة والببغاء



صدر حديثاً مجموعة قصصية مترجمة بعنوان «الأرملة والببغاء». نقلها إلى العربية فراس رشدان. تقع المجموعة في ٩٥ صفحة من القطع المتوسط، الغلاف للفنان سعيد رشدان. تضم المجموعة قصصاً لـ: ليوتولوستوي/ روسيا، وفرانك أوكونور/ إيرلندا، وهيكتور هوغو مونرو/ بريطانيا، وفيرجينيا وولف/ بريطانيا، وليام سومرست موم/ بريطانيا

أحزان الوقت الضائع



صدر حديثاً، عن دار الحصاد بدمشق مجموعة قصصية بعنوان: «أحزان الوقت الضائع» للقاص سمير صالح، تضم المجموعة تسع قصص قصيرة، وتقع في ١١١ صفحة من القطع المتوسط، ومما جاء في مقدمة المجموعة: «قصص سمير صالح هذه.. أيّ دور تراها تستطيع أن تؤديه في هذا الوقت الذي لانرجوه وقتاً ضائعاً»..

أنوثة الإشارة

عن دار «ألف» للكتابة الجديدة، صدر في بيروت مجموعة شعرية جديدة للشاعر خضر الآغا، بعنوان: «أنوثة الإشارة». تقع المجموعة في (١٠٤) صفحات من القطع المتوسط، ولوحة الغلاف للفنان وضاح السيد. ومن أجواء المجموعة:

كان عليّ أن أقتل الشعراء جميعاً
كي أحبّك بلا شبهة
كان عليّ أن أخونك في كلّ مرة،
كي أعرف لونَ قميصي
كان علي أن أكتبك،
كي يقرأني الخاطئون، جيداً

حكاية ألف امرأة وإمرأة

انتهى المخرج السوري «صلاح سرميني» المقيم بباريس من تصوير فيلمه التلفزيوني التسجيلي الروائي الطويل «حكايات ألف إمرأة وإمرأة» من إنتاج «شهرزاد للإنتاج السينمائي والتلفزيوني» والتي يشرف عليها المنتج التونسي «محمد التليلي الخيري».

تتلخص فكرة الفيلم بأن مخرجاً يبحث عن ممثلات من جنسيات مختلفة ليشتركن في تصوير فيلمه القادم، وخلال عملية الإختيار، تبدأ كل واحدة بقص حكاية ما، فيتأرجح التسجيلي بالروائي وتتداخل الحكايات، الأحلام والطموحات، الأحزان والأفراح، وتتوضح بشكل أكيد الحاجة الملحة والرغبة في الكلام، وتمتزج الفكرة مع ميكانيزم التحليل النفسي وفكرة التطهير.



وخلال المدة الزمنية للفيلم، نشاهد كل واحدة منهن تتحدث إلى الكاميرا بموضوع اختارته بنفسها، حكاية حقيقية أو متخيلة حدثاً معاشاً أو مستوحى من حياة الآخرين، انطباعات أو تساؤلات، افتراضات عما يحدث في هذا العالم قريباً أو بعيداً، عما حدث ماضياً أو عما سوف يحدث مستقبلاً.

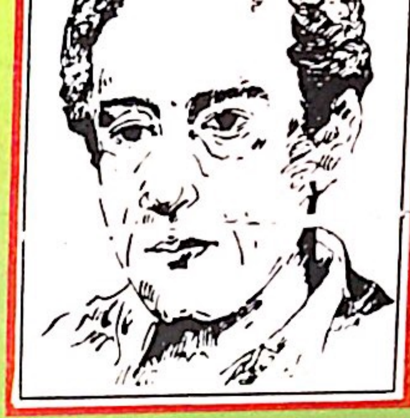
وفي الفيلم تقتطع كل إمرأة جزءاً من ساعات يومها لتحكي حكاية إلى جمهور افتقد متعة الإصغاء والانتباه إلى الوقائع اليومية البسيطة.

ومن سلمى التي تبكي ما يحدث في الجزائر، مارتين التي تعاني من وحدتها وتختلق أساليب لكسر هذه الوحدة، سعيدة التي تختلق لنفسها شخصيات مختلفة... مودلي التي لا تعرف كيف السبيل لتغيير مجرى حياتها والحصول على السعادة... تتوالى القصص والحكايات. وتتشكل دورات تتسع وتضيق، تلتحم وتنفصل، تتتباعد وتتلاقى... لتكون في مجملها وثيقة كشهادة عن المرأة وعلى لسانها في أواخر القرن العشرين.

ولا ينتهي الفيلم عند تلك التي تتوجه إلى الكاميرا بكلماتها الأخيرة «كي تشد اهتمام الآخر عليك أن تعتمد على الخيال تماماً كما فعلت شهرزاد في حكاياتها للامير شهريار خلال ألف ليلة وليلة».

والمخرج «صلاح سرميني» ـ من مواليد مدينة حلب ـ مارس النقد السينمائي لفترة طويلة قبل أن يخرج مجموعة من الأفلام التسجيلية والروائية: «هوامش عن أحداث حقيقية وأخرى متخيلة» فيلم تخرجه من المعهد العالي للسينما بالقاهرة، «قصيدة موت» فيلم تسجيلي متوسط الطول بالتعاون مع التلفزيون السوري، «الذاكرة والقلب» فيلم تسجيلي قصير، «أوهام على أعتاب مدينة خرافية» فيلم روائي متوسط الطول عن فكرة للصحفية السورية هدى الزين، وكمنتج أنجز مجموعة من الأفلام القصيرة لمخرجين فرنسيين شبان.

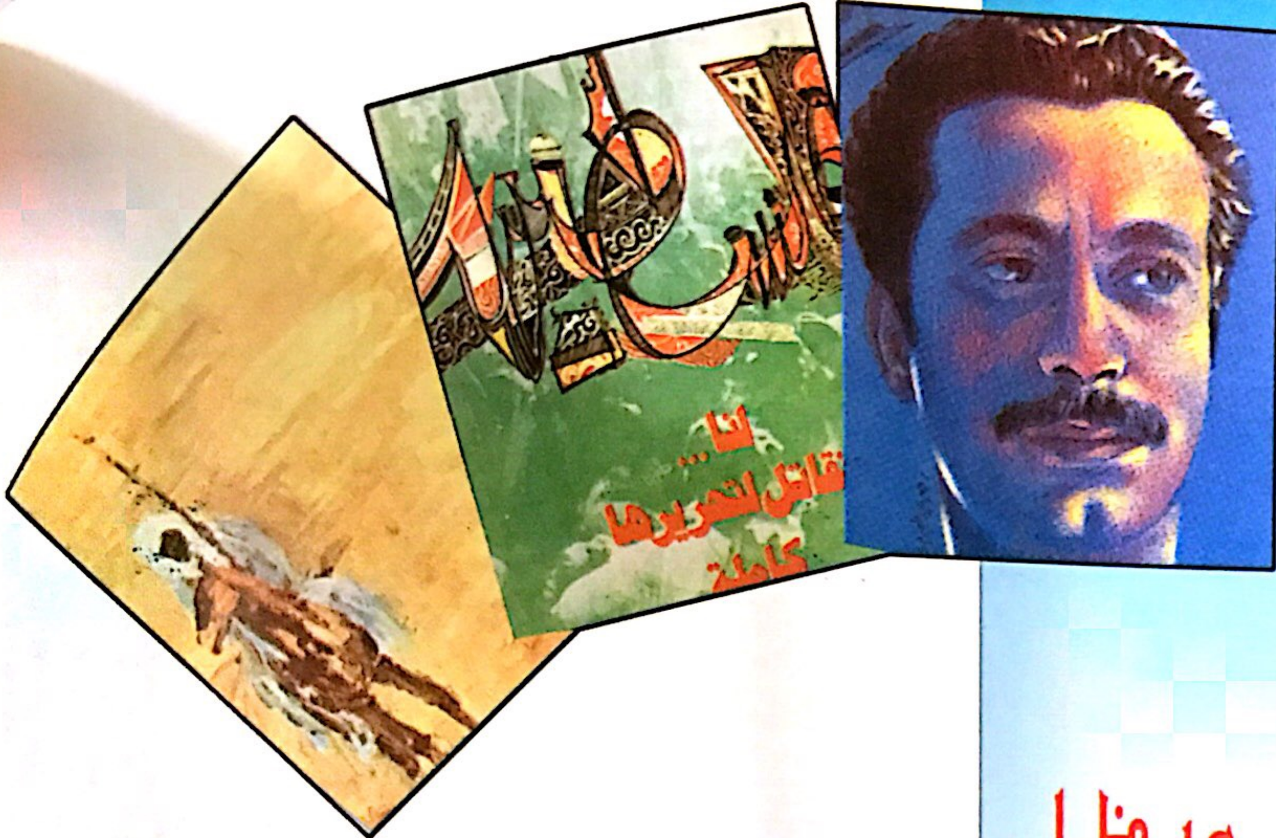
ويستعد حالياً لإنجاز الجزء الثاني من «حكايات ألف إمرأة وامرأة»، والتشطيب لمجموعة سيناريوهات أفلام قصيرة تمزج ما بين المسرح والسينما عن قصص قصيرة من مجموعة «الاعتراف الأول» للكاتبة السورية «كوليت نعيم بهنا»، كما تجري مباحثات حول انتاج فرنسي / سوري مشترك بالتعاون مع المؤسسة العامة للسينما بدمشق لإنتاج فيلم روائي طويل بعنوان «نزوة الموتى» عن رواية لشاكر نوري، ومشروع فيلم آخر بعنوان «حكايات من سفر برلك» عن مسرحية لعبد الفتاح رواس قلعة جي ■■



ناجي العلي على سفر وواقع الحال مقيم







ويظل الحديث عن غسان ناقصاً

ستة وعشرون عاماً مرت ونحن على عادتنا لانغيرها..

يأتي الثامن من تموز مرة أخرى.. ومعه نسترجع صدى انفجار الحازمية الذي اختطف منا غسان كنفاني.. تمتلىء الآذان طنيناً، وتتفتح الجروح والأوجاع على اتساعها.. فالذكرى تضيئها، تجددها.. تجعلها أكثر بهاءً وألماً..

نحتفل بغسان الذي تشظى أشلاء وأفكاراً.. وكأنه فارقنا بالأمس. بل لكأنه مازال يحتضر أمامنا.. يكتم آلامه كما هي عادته. ويتمتم بوصيته التي لم يكملها بعد..

وإذا كان الموت بحد ذاته مؤلماً. ففي حالة الشباب يصبح أكثر وجعاً.. وحين تقترن الفتوة المبكرة بالعبقرية المتفتحة كما هو الحال عند غسان. يصبح الموت فاجعاً.. ونزداد حنقاً على الموت الذي لم يأت من تلقاء نفسه، بل أبى إلا أن يتواطأ مع العدو الذي مازال يمد لنا لسانه شامتاً..

لكن موت غسان كنفاني هو أقرب للولادة منه للغياب، لذلك هو مناسبة للإحتفال لانفوتها أبداً.. ليس تعبيراً عن الوفاء فقط.. أو كأداء للواجب ليس إلا نحو كاتب أو قائد موهوب.. بل كنوع من طقوس التجدد التي لاغنى عنها حيث نغسل أرواحنا في أفكاره الندية التي تكاد لاتذبل ولا تشيخ.. وكتاباته التي لم تزل تدهشنا. لقدرتها المذهلة على مقاومة التقادم.. حيث تُظهر في مناسبات مختلفة قدرتها العظيمة على التجدد الدائم فضلاً عن الإحتفاظ ببهائها وروعتها..

بعد ستة وعشرين عاماً على استشهاده.. يكاد يكون غسان كنفاني أعظم حضورا من كثير من الأحياء ونكاد لانعرف أيهم الحاضر، رغم غيابه وأيهم الغائب رغم حضوره...

ونحن الاحياء نختنق ألف مرة.. ونموت.. وسنموت ألف مرة.. وننكسر ونحزن وننهزم ألف ألف مرة.. ومازال المنادي يصرخ.. لماذا لم تقرعوا جدران الخزان؟!

ومن قال إننا لم نفعل؟... ألم يقرع غسان ودمّى يديه؟ ألم نفعل نحن والخزان صامت كتابوت؟.. لكنها الصحراء يا أخي. الصحراء التي تمددت فداست بقسوة على كل الخضرة في حياتنا.. صحراء لايبدو لها بداية ولا نهاية.. متاهة قاتلة نجول فيها..

لكن القافلة لاتفقد الأمل.. ولاخيار أمامها سوى السير... والسير بحثاً عن آفاق أكثر اشراقاً.. وحياة أكثر جمالاً ونظافة..

وكأنما غسان لم يفارق مكانه.. مازال كحادي العيس ينشد للقافلة مزاميره ونبوءاته..

نعم في موت غسان كنفاني أكثر من قصة لم تكتمل بعد.. وهذا ما يجعل الحديث عنه يظل دائماً ناقصاً..

نسفوه.. لكن ما أسكتوه وما قتلوه.. ولكن شبه لهم..

خليل جنداوي